التوحيد

العدد ٦٤٠ السنة الرابعة والخمسون - ربيع الآخر ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٤٠ السنة الرابعة والخمسون - ربيع الآخر ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

الرسول
عليه الصلاة والسلام
بين الميلاد البشري والميلاد النبوي

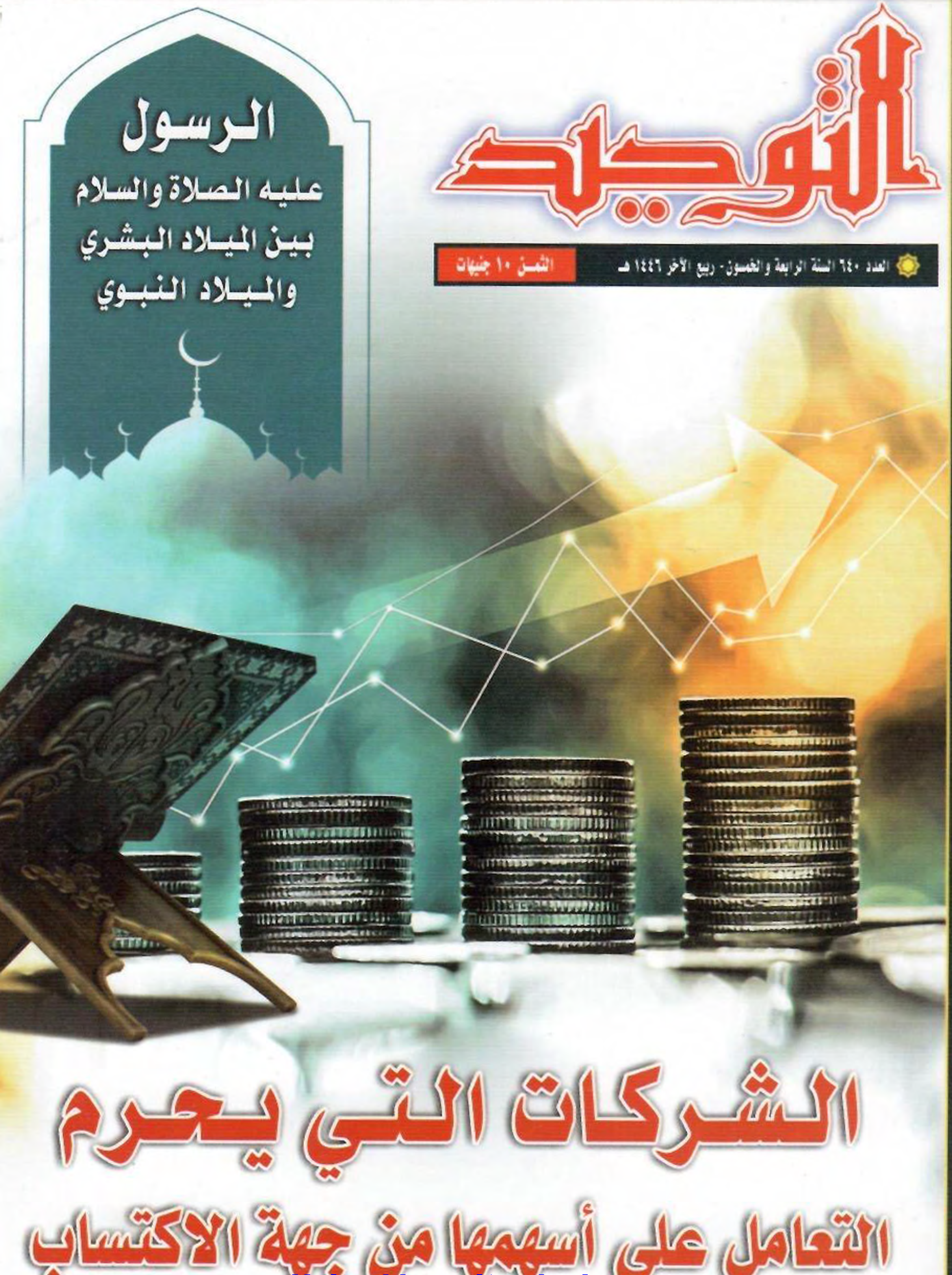

الشركات التي يحرم التعامل على أسهمها من جهة الاكتساب

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.

للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولارًا أو ٤٠٠ ريال سعودى بالجنيه المصري.

السلام عليكم

بتوجيه من فضيلة الرئيس العام لجماعة أنصار السُّنَّة المحمدية-حفظه الله-؛ فإن مجلة التوحيد الغراء تشرُف بدعوة علماء الجمعية الكرام ، وأهل العلم والفضل من أصحاب المناهج المستقيمة إلى المشاركة البنَّاءة في إثراء المجلة بمقالات هادفة بنَّاءة وبمنهج واضح وقلم سديد ، فمن وجد من نفسه نشاطًا ورغبة في المشاركة بقلمه فليتفضل مشكورًا بالمراسلة على البريد الإلكتروني للمجلة، أو على واتساب رئيس التحرير ٠١٠٠٥٠٠٧١٥١، على أن تكون المقالة مكتوبة على ملف word، وبحد أقصى ١٣٠٠ كلمة للمقالة الواحدة.

ويتم النشر بعد عرض المقالات المرسلة على اللجنة العلمية وموافقتها على النشر.

ولكم منا وافر الشكر والتقدير.

اللجنة العلمية

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

رئيس التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

افتتاحية العدد   الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد   ٢
باب التفسير   د. عبد العظيم بدوي   ٥
باب العقيدة: مبادئ علم التوحيد   د. عبد الله شاكر   ٨
الشركات التي يحرم التعامل على أسهمها
د. أيمن خليل   ١١
باب السنة   د. جمال المراكبي   ١٧
ضمانات الشريعة الإسلامية لحق الجنين   د. عادل شوشة   ٢١
حقوق الجيران في الإسلام   الشيخ صلاح نجيب الدق   ٢٤
إهدار السياق القرآني مدخل للخطأ في التفسير
أ.د. محمد حامد   ٢٨
واحة التوحيد   د. علاء خضر   ٣٢
وعجلت إليك رب لترضى   الشيخ رضا الخطيب   ٣٤
من أخبار الجماعة   التحرير   ٣٥
البدعة: ضوابط وأحكام   د. محمد عبد العزيز   ٣٦
من روائع الماضي : الرسول بين الميلاد البشري والميلاد النبوي
الشيخ/ محمد حامد الفقي رحمه الله   ٤٠
تحذير الداعية من القصص الواهية   الشيخ علي حشيش   ٤٥
الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال (٤)
أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي   ٤٩
الرسول واتباع سنته   الشيخ إبراهيم حافظ رزق   ٥٣
من أخلاق طالب العلم   الشيخ صلاح عبد الخالق   ٥٦
مسؤولية الآباء عن الأبناء   الشيخ عبده أحمد الأقرع   ٥٩
كيف نفوز بمحبة الله؟   أ/ عبد العزيز مصطفى الشامي   ٦٢

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالًا ، الإمارات ١٢ درهمًا ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالًا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ‖
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ‖
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

الوسيلة بين الاتباع والابتداع

إعداد **الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد**
الرئيس العام

الحمد لله القريب المجيب، والصلاة والسلام على النبي الحبيب.وبعدُ:

فإن الشيطان الرجيم زيَّن لكثير من الناس تحريف الكلم عن مواضعه، تحريفًا في اللفظ والمعنى، وهذا باب من أخطر الأبواب التي دخل منها الشيطان على كثير من الناس ليُزيِّن لهم الشرك وصرف العبادة لغير الله. ومن ذلك: تقديس الأولياء إلى درجة الاستغاثة بهم والتبرك بذواتهم وطلب المدد منهم بحجة قوله تعالى: «أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (يونس: ٦٢).

ومن ذلك: تلبيس إبليس على كثير من الناس في قضية التوسل والوسيلة حتى صرف كثير من الناس بعض أنواع العبادة للقبور بحجة أنها الوسيلة التي تقربهم إلى الله تعالى!! وحجتهم في ذلك: أن أصحاب القبور أصحاب أنفاس طاهرة وقلوب خاشعة، وأنهم أقرب إلى الله منا ونحن لا نعبدهم، وإنما نتوسل بهم إلى الله تعالى. ويقولون: إنك لا تستطيع الدخول على كبير من الكبراء إلا بواسطة!! ونقول لهم: سبحان الله!! نبحث عن واسطة للدخول على وجهاء الدنيا، إما لجهلهم بنا، وعدم معرفتهم بحاجتنا، أو لرفع ظلم لا يعرفونه، أو لشفاعة قد تكون على حساب الغير، والله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وقد عرَّفنا سبحانه بنفسه فقال: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا

ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ » (ق:١٦).

ولا غرابة أن نسمع اليوم من يقف أمام قبر الحسين قائلاً: "يا حسين سقتك على أبيك، وسقت أباك على جدك، وسقت جدك على الله"، وهذه فِرية قديمة حكاها القرآن عن عباد القبور والأضرحة قال سبحانه: « أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ » (الزمر: ٣).

قال القرطبي رحمه الله: (كانوا إذا قيل لهم من ربكم وخالقكم ومن خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماءً؟ قالوا: الله، فيقال لهم: ما معنى عبادتكم الأصنام؟ قالوا: ليقربونا إلى الله زلفى، ويشفعوا لنا عنده).

والقرآن الكريم صريح في أن الوسيلة المشروعة تقرب إلى الله تعالى كما في قوله تعالى: « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (المائدة: ٣٥). غير أن أهل الابتداع حملوها على أنها الأولياء وأهل القبور والأئمة، أما أهل الاتباع فهداهم الله إلى أن الوسيلة في كل ما يقرب إلى الله تعالى من عمل صالح مشروع.

قال ابن كثير نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: "الوسيلة هي القربة، وهي ما يُتوصل بها إلى تحصيل المقصود، وهي علم على منزلة في الجنة لرسول الله، وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش".

وقال صاحب المحرر الوجيز: "الوسيلة القربة، وسبب النجاح في المراد، وقد اتفق أهل العلم على أن من التوسل المشروع التقرب إلى الله تعالى بالطاعات الواجبة والمستحبة بما يوافق الكتاب والسنة من صلاة وصيام وذكر وغيره. قال تعالى: « كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب » (العلق: ١٩).

وقال القرطبي: (اقترب) أي تقرَّب إلى الله جل ثناؤه بالطاعة والعبادة.

وقال الطبري عن قتادة: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قال: من عادي لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورِجْله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته».

وقد ورد في الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بالثلاثة الذين أصابهم مطر، فأووا إلى غار، فانطبق عليهم؛ فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق؛ فلْيدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه، ثم ذكر ما كان من أمر البارّ بوالديه، ومن كان يحب بنة عمه، والأجير، وهذا توسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح؛ فقد حرَّك الصخر، وكان سببًا في نجاتهم.

ومن التوسل المشروع: التوسل بدعاء الصالحين كما في توسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

> **الوسيلة هي القربة، وهي ما يُتوصل بها إلى تحصيل المقصود.**

بالعباس رضي الله عنهما عام الرمادة؛ فقد ورد في الصحيح من حديث أنس أن عمر رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون. وقد ساق ابن حجر رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث ما ذكره الزبير بن بكار في كتابه الأنساب أن العباس لما استسقى به عمر قال: (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يُكشف إلا بتوبة، وقد توجَّه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة؛ فاسقنا الغيث)، فدلَّ هذا على أن توسلهم بالنبي والعباس من بعده إنما هو دعاؤهما الله للناس، ولو كان التوسل بالأموات جائزًا لتوسل عمر رضي الله عنه بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته، لكنه توسل بمن يتقدمهم للدعاء، وسؤال الله تعالى.

ولم يكن التوسل بذاته عليه الصلاة والسلام، وإنما كان بدعائه؛ كما ورد في الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه أن رجلاً دخل يوم الجمعة ورسول الله قائم يخطب على المنبر؛ فقال: يا رسول الله! هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله أن يغيثنا، فرفع رسول الله يديه فقال: «اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا».

ومن ذلك أخذ أهل الاتباع أن التوسل المشروع هو بدعائهم وليس بذواتهم، كما أن من التوسل المشروع ما توسل به نبي الله يونس عليه السلام حين التقمه الحوت؛ فتوسل إلى ربه بكلمة التوحيد وتنزيه الله سبحانه والإقرار بالذنب فكانت الاستجابة: «وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» (الأنبياء: ٨٧).

ومن ذلك ما ورد في سنن أبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه من حديث بريدة الأسلمي عن أبيه قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، قال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعيَ به أجاب وإذا سُئل به أعطى».

وقد ضل كثير من الناس في قضية التوسل والوسيلة، وزعموا أن الوسيلة هم آل البيت أو شيخ الطريقة أو الأولياء الصالحون، وأنهم هم الشفعاء عند الله، فراحوا يصرخون عندهم بطلب المدد وقضاء الحاجات، وتصريف الأحوال بما لا يُطلب إلا من الله تعالى.

قال تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (يونس: ١٨).

ويزداد الأمر شرًا عندما يتوجه العبد إلى العبد، نبيًا كان أو وليًا سائلاً إياه مباشرة تفريج الكرب، كما يقولون: فرِّج الكرب يا بدوي، أو المدد أو الشفاء إلى غير ذلك مما لا يطلب إلا من الله تعالى.

وشر الناس في ذلك هم الشيعة الذين ينادون صراحة (يا علي)، ومن حذا حذوهم ونهج نهجهم، ورفَع القباب على القبور مثلهم، وأفتوا الناس أن هذا دين، وأن ما عداهم متشددون، ويزعمون أنهم أهل الباطن، وأن غيرهم أهل الظاهر فينشرون خرافاتهم بزعمهم رؤية النبي يقظة لا منامًا، وأن الحجاب يُكشف عنهم!! إلى غير ذلك مما أصبح يراه الناس ويسمعون به ويأبى الله إلا أن يفضح أمرهم.

فاللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

سُورَةُ السَّجْدَةِ
سورة السجدة

قال الله تعالى: « أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٠) وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦) أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ » (السجدة: ١٩- ٣٠).

إعداد د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

مَنَازِلُ المؤمنين والكافرين:

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى حَالَ المُجْرِمينَ المُكَذِّبينَ، وَحَالَ المُؤْمنينَ الَّذينَ يُسَبِّحُونَ بحَمْدِ رَبِّهِمْ وَلَهُ يَسْجُدُونَ، نَفَى التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُمْ فقَالَ: « أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ » (السجدة: ١٨).

ثُمَّ بَيَّنَ مَنَازِلَ الْفَرِيقَيْنِ فقَالَ: «أَمَّا الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بما كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا منْهَا أُعيدُوا فيهَا وَقيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذي كُنتُم به تُكَذِّبُونَ»، وَكُلٌّ فِي مَأْوَاهُمْ خَالِدُونَ، كمَا فِي الْحَديث عَنْ أَبي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «يُؤْتَى بالْمَوْت كهَيْئَة كَبْش أَمْلَحَ، فَيُنَادي مُنَاد يَا أَهْلَ الْجَنَّة، فَيَشْرَئبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادي: يَا أَهْلَ النَّار، فَيَشْرَئبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّة، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّار، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» (صحيح البخاري ٦٥٤٨).

فَأَمَّا أَهْلُ الْجَنَّةُ فَقَدْ رَضُوا بمَأْوَاهُمْ وَسعدُوا فيه، فَهُمْ

فِي الْجَنَّةِ: «خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا» (الكهف: ١٠٨). وَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ فَهُمْ يَتَطَلَّعُونَ إِلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا وَيَرْجُونَهُ، وَيَسْأَلُونَ اللهَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ» (فاطر: ٣٦، ٣٧).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى هُنَا: «كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها» قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ: وَاللهِ إِنَّ الْأَيْدِي لَمُوثَقَةٌ، وَإِنَّ الْأَرْجُلَ لَمُقَيَّدَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَبَ لَيَرْفَعُهُمْ، وَالْمَلَائِكَةَ تَقْمَعُهُمْ (تفسير القرآن العظيم: ٤٦٢/٣). «وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ»، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (الطور: ١٣- ١٦).

مِنْ مظاهر رحمة الرحمن:

وَمِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ لَمَّا بَيَّنَ مَا أَعَدَّ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّعِيمِ، وَمَا أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ مِنَ الْجَحِيمِ، قَالَ: «وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» فَمِنْ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ يُعَذِّبُهُمْ فِي الدُّنْيَا بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنْ كُفْرِهِمْ، فَيَنْجُوا مِنَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ الْخَيْرَ انْتَبَهَ لِمَا نَزَلَ بِهِ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا، وَعَلِمَ أَنَّهُ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ، فَتَابَ وَأَنَابَ إِلَى مَوْلَاهُ، وَمَنْ سَبَقَتْ لَهُ الشَّقَاوَةُ لَمْ يَفْطَنْ لِحِكْمَةِ الْعَذَابِ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى رَبِّهِ بِالْمَتَابِ، فَكَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ الْمُسْتَحِقِّينَ لِلْعَذَابِ الْأَكْبَرِ.

وعيد المعرضين عن القرآن الكريم:

«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ» أَيْ لَا أَحَدَ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ، وَدُعِيَ إِلَى الْإِيمَانِ بِرَبِّهِ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنِ الْآيَاتِ، وَاسْتَكْبَرَ عَنِ الْإِيمَانِ، ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ بِالِانْتِقَامِ فَقَالَ: «إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ»، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩) مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (الجاثية: ٧- ١٠).

تسلية النبي صلى الله عليه وسلم في تكذيب قومه له:

كَانَ إِعْرَاضُ الْمُشْرِكِينَ عَنْ آيَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ، يُحْزِنُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَيُؤْذِيهِ، كَيْفَ يُعْرِضُونَ عَنْهُ وَهُوَ الْحَقُّ؟! فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُ: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ»، الضَّمِيرُ فِي «لِقَائِهِ» يَعُودُ عَلَى الْكِتَابِ عَلَى تَقْدِيرِ مُضَمَرٍ، أَيْ مِنْ لِقَاءِ مِثْلِهِ، أَيْ: إِنَّا آتَيْنَاكَ مِثْلَ مَا آتَيْنَا مُوسَى، وَلَقَّنَّاكَ بِمِثْلِ مَا لُقِّنَ مِنَ الْوَحْيِ، فَلَا تَكُ فِي شَكٍّ مِنْ أَنَّكَ لُقِّنْتَ مِثْلَهُ وَلَقِيتَ نَظِيرَهُ، كَقَوْلِهِ: «فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» (يونس: ٩٤)، وَنَحْوُ قَوْلِهِ: «مِنْ لِقَائِهِ» قَوْلُهُ: «وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ» (النمل: ٦) (الكشاف: ٢٢٣/٣). وَنَهْيُهُ صلى الله عليه وسلم عَنِ الشَّكِّ الْمَقْصُودُ بِهِ نَهْيُ أُمَّتِهِ، وَالتَّعْرِيضُ بِمَنْ صَدَرَ مِنْهُ مِثْلُهُ (محاسن التأويل: ٢١٧/١٣).

عموم بعثة النبي صلى الله عليه وسلم:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ» الضَّمِيرُ لِلْكِتَابِ الَّذِي آتَاهُ اللهُ مُوسَى، وَهُوَ التَّوْرَاةُ، وَخَصَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالذِّكْرِ لِكَوْنِ مُوسَى عليه السلام مَبْعُوثًا إِلَيْهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ، بِخِلَافِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَإِنَّهُ قَدْ بُعِثَ لِلنَّاسِ عَامَّةً، وَلِذَلِكَ كَانَ كِتَابُهُ هُدًى لِلنَّاسِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ» (البقرة ١٨٥)، وَقَالَ تَعَالَى: «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» (الفرقان: ١)، وَلِذَلِكَ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ،

ونُصِرْتُ بالرُّعْب، وأُحِلَّتْ لي الغَنَائم، وجُعِلَتْ لي الأرْض طَهُورًا ومَسْجِدًا، وأُرْسِلْتُ إلى الْخَلْق كافَّة، وخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّون» (صحيح مسلم ٥٢٣).

بِمَ تُنال الإمامة في الدِّين؟

ثُمَّ يَذْكُرُ اللّه تعالى ما مَنَّ به على من اتَّبَعَ الْهُدى من بَنِي إسْرائيل، فيَقُولُ: «وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أئمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وكانُوا بآياتنا يُوقنُونَ» فبالصَّبْر واليَقِين تُنالُ الإمامةُ في الدِّين. وتَقْدِيمُ «بآياتنا» على «يُوقنُونَ» للاهْتمام بالآيات.

وفي هذا تَعْرِيضٌ بالبِشارة لأَصْحاب رَسُول اللّه صلى الله عليه وسلم بأنَّهُمْ يَكُونُونَ أئمَّةً لدين الإسْلام، وهُداةً للمُسْلمين إذْ صبَرُوا على ما لحِقَهُمْ في ذات اللّه منْ أذى قَوْمِهِمْ، وصَبَرُوا على مَشاقِّ التَّكْليف، ومُعاداة أهْلِهِمْ وقَوْمِهِمْ وظُلْمِهِمْ إيَّاهُمْ (التحرير والتنوير: ٢١/٢٣٧).

ومِنْ تمام تَسْلية اللّه تعالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلم ومُواساته له في إعْراض قَوْمِهِ عَمَّا جاءَهُمْ به من رَبِّهِمْ واخْتلافِهِمْ فيه، قال اللّه تعالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: «إنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقيامة فيما كانُوا فيه يَخْتَلِفُونَ».

وُجُوبُ الاعتبار بوحدة مصير المُكذِّبين:

ثُمَّ يَعيبُ اللّه تعالى على المُعْرِضين عن الآيات التَّنْزيليَّة إعْراضَهُمْ عن الآيات الكَوْنيَّة، وما أصاب المُكذِّبين منْ قَبْلِهِمْ، فيَقُولُ تعالى: «أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا من قَبْلِهم مِّنَ الْقُرُون يَمْشُون في مساكنهمْ إنَّ في ذلك لآيات أفلا يَسْمَعُون» والسُّؤال للتَّكْثير، «كَمْ أهْلَكْنا من قَبْلِهم مِّنَ الْقُرُون»؟! كما قال تعالى: «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ »(الإسراء ١٧). وقال تعالى: «وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا » (الفرقان: ٣٧-٣٩).

وقوله تعالى: «إنَّ في ذلك لآيات» أي: إنَّ في خلاء مَساكن الْقُرُون الَّذين أهْلَكْناهُمْ منْ قَبْل هؤلاء المُكذِّبين بآيات اللّه منْ قُرَيْش منْ أهْلها الَّذين كانُوا سُكَّانَها وعُمَّارَها بإهْلاكنا إيَّاهُمْ لَمَّا كذَّبُوا رُسُلَنا وجحَدُوا بآياتنا، وعَبَدُوا منْ دُون اللّه آلهةً غَيْرَه الَّتي يَمُرُّون بها فيُعاينُونها لآيات لَهُمْ وعظات يَتَّعِظُون بها، لَوْ كانُوا أُولي حجًا وعُقُول، «أفلا يَسْمَعُون» عظات اللّه وتَذْكيرَهُ إيَّاهُمْ آياته، وتَعْريفَهُمْ مَواضعَ حُجَجه؟ (جامع البيان: ٢١/١١٤).

منْ دلائل التَّوحيد: المطر والنَّبات:

ومِنْ إعْراضهمْ أيْضًا إعْراضُهُمْ عن التَّأمُّل في نَبات الأرْض الَّذي منْهُ يأْكُلُون، وتَأْكُلُ منْهُ أنْعامُهُمْ: «أولَمْ يَرَوْا أنَّا نَسُوقُ المَاءَ إلى الأرْض الْجُرُز فنُخْرجُ به زرْعًا تأْكُلُ منْهُ أنْعامُهُمْ وأنفُسُهُمْ أفلا يُبْصرُون»، الأرْضُ الْجُرُزُ هيَ الَّتي لا زَرْعَ فيها، يَسُوقُ اللّه إلَيْها المَاءَ من السَّماء مُباشَرَةً أوْ من الأنْهار، فتُنْبتُ الْكَلأَ والْعُشْبَ الْكثيرَ.

اسْتعجال المُشركين ليوم الفصل:

«ويَقُولُونَ مَتى هذا الوَعْدُ إن كُنتُمْ صادقين» هذا اسْتعْجالٌ منْهُمْ ليَوْم الْفصْل الَّذي أخْبرَهُمْ به رَسُولُ اللّه عن اللّه، والْفَتْحُ هُوَ الْحُكْمُ والْقَضاءُ والْفَصْلُ بيْنَ المُخْتلفينَ،كما قال شُعَيْبُ عليه السلام: «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ »(الأعراف: ٨٩).

ثُمَّ أمَرَ اللّه تعالى نبيَّهُ صلى الله عليه وسلم أنْ يُعْلمَهُمْ أنَّه إذا كان يَوْمُ الْفَتْح فسَيُؤْمنُون بما كذَّبُوا به منْ قَبْلُ، ولَنْ يَنْفعهُمْ إيمانُهُمْ، فقال تعالى: «قُلْ يَوْمَ الْفَتْح لا يَنفعُ الَّذينَ كفرُوا إيمانُهُمْ ولا هُمْ يُنظَرُونَ».

وقَوْلُهُ تعالى: «فأعْرضْ عنْهُمْ وانْتظرْ إنَّهُمْ مُنْتظرُونَ» أمْرٌ منَ اللّه تعالى لرَسُوله صلى الله عليه وسلم بالإعْراض عَنْ هؤلاء المُكذِّبينَ حتَّى يأتي اللّه بأمْره، فيُهْلكَهُمْ ويَنْصُرَكَ ومَنْ آمن معَكَ، ويُعذِّبَهُمْ ويَرْحمَكَ ومَنْ آمن معَكَ.

وبهذا انتهت رحلتنا في تفسير سورة السجدة، ونبدأ في العدد الجديد تفسير سورة الأحزاب، والحمد لله العالمين.

مبادئ علم التوحيد

إعداد د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد:

فقد تناولنا في المقال السابق فضل علم التوحيد، وتكلمنا عن موضوعه، ومعلومه، والحاجة إليه، وبقي أن نتكلم عن ثمرته، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

ثمرة «علم التوحيد»:

ثمرة علم التوحيد بالنسبة للمكلف:

ثمرة التوحيد للمكلف في الحياة الدنيا أن التوحيد سبب في طيب العيش للإنسان، وانتظام أمر الحياة؛ بل إن قيام المدنية وازدهار الحضارة هي من ثمرات التوحيد المباركة؛ قال رب العالمين: « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (الأعراف: ٩٦)، وقال تعالى: « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (النحل: ٩٧)، وقال تعالى: « الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » (الرعد: ٢٨).

إن الإيمان يثمر طمأنينة القلب وراحته وقناعته بما رزقه الله به، ويجعل العبد لا يتعلق بغير ربه ومولاه؛ وهذه هي الحياة الطيبة، فإن أصل الحياة الطيبة راحة القلب وطمأنينته، وعدم تشوشه مما يتشوش منه الفاقد للإيمان الصحيح، وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عجبًا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير؛ إن أصابته سرّاء شكر فكان خير له؛ وإن أصابته ضراء صبَر فكان خير له. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن».

ولذلك قال بعض السلف: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى- في قوله تعالى: « يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ » (الحديد: ١٣)، قال: «ما يصنع أعدائي به؟! أنا جنتي وبُستاني بصدري، أنَّى رحت فهي معي لا تفارقني؛ إن حبسي خلوةٌ، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة».

ومظاهر الحياة الطيبة التي خص الله بها عباده المؤمنين في الدنيا كثيرة:

فمنها: ولاية الله عز وجل: «ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ» (البقرة:٢٥٧).

ومنها: محبة الله عز وجل للمؤمنين، ومحبة الخلق لهم: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ» (المائدة: ٥٤).

ومنها: مدافعة الله عن المؤمنين، وإنجاؤه لهم؛ حيث إن الله عز وجل قد تكفل بنصر أوليائه المؤمنين على أعدائهم، قال سبحانه: «إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ» (الحج: ٣٨)، ولم يذكر ما يدفعه عنهم حتى يكون أفخم وأعظم وأعمَّ وأتم، وقال سبحانه: «فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ» (الأنبياء: ٨٨).

ومنها: حصول نور البصيرة التي تفرق بين الحق والباطل: قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ» (الأنفال: ٢٩)، وهذا الفرقان فسَّره أهل العلم بالنور الذي يقذفه الله في قلب المؤمن، فيفرِّق به بين الحق والباطل، والسنة والبدعة. قال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (الشورى: ٥٢).

ثمرات التوحيد العلمية:

وتظهر ثمرة علم التوحيد العلمية من خلال الأمور التالية:

أولاً: معرفة الله معرفة يقينية:

إن سلوك منهج أهل السنة في تعلُّم علم التوحيد يوصل العبد -ولا بد- إلى غاية المطالب، وأشرف المقاصد، وأول الواجبات وهو: معرفة الله تعالى بالتوحيد، وإفراده تعالى بالعبادة، والبراءة من الشرك، وكلما ازداد العبد علمًا بالتوحيد؛ ازداد رقيًا في مدارج الإيمان ومعارج اليقين، وارتقى من الإيمان المجمل إلى الإيمان المفصَّل، ومن حال التقليد إلى حال اليقين والإذعان، والتصديق عن حجة وبرهان؛ بحيث يكون اعتقاده في ربه اعتقادًا صحيحًا موافقًا للواقع عن دليل صحيح، وهذا أفضل ما اشتغل بعلمه الإنسان.

والعلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته سبيل لرفع الدرجات وحصول البركات، قال تعالى: «يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ» (المجادلة:١١)، وهذا العلم الصحيح هو الذي يحلّ عقدة الأسئلة الكبرى التي ضلت البشرية في الاهتداء إلى جوابها؛ فتاهت في ضروب الإلحاد وعبادة الشجر والحجر والتثليث، وعبادة الهوى من دون الله تعالى؛ ففي القلب خلة لا يسدّها إلا الاعتقاد الحق، وحاجة لا تنقضي إلا بمعرفة الرب.

ثانيا: انشراح الصدر، وطمأنينة القلب:

وهذا الأمر ثمرة حصول المعرفة الصحيحة بالله تعالى، والإجابة عن أسئلة الفطرة حول الكون والحياة؛ فنفس لا إيمان فيها مضطربة قلقة تائهة خائفة؛ فأما اضطرابها، فلأنها كالسفينة تتقاذفها الأمواج العاتية، تتلقى عن كثيرين غير الله تعالى مناهجها وعقائدها؛ فتضطرب مرجعيتها ويختلف سبيلها وتتناقض مسيرتها، وأما النفس المؤمنة الموحِّدة فقد اتّحد مصدر ورودها وصدورها في كل أمر، فهي تتلقى من الله وعن الله، وهي تسير إلى الله تعالى، قال تعالى: «ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (الزمر: ٢٩).

ثالثا: حصول برد اليقين، واستقرار الفكر:

قال شيخ الإسلام: «والمقصود أن ما عند عوام المؤمنين وعلمائهم -أهل السنة والجماعة- من

المعرفة واليقين والطمأنينة والجزم الحق والقول الثابت والقطع بما هم عليه، أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين».

ثمرات التوحيد العملية:

المراد بثمرات التوحيد العملية: القوة التي تحمل الإنسان على السير إلى الله تعالى، والاجتهاد في عبادته، والتقرب إليه بما يرضيه، واجتناب ما يسخطه.

وتظهر ثمرة علم التوحيد العملية من خلال الأمور التالية:

أولاً: تحقيق الإخلاص، وأعمال القلوب على الوجه الصحيح:

إن الإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة رسل الله أجمعين، وهو روح التوحيد، ولُبّ الرسالة.

والإخلاص يتوقف -في حصوله وكماله- على معرفة العبد لربه، وتعظيمه، وتأليهه، ومعرفة أسمائه تعالى، وصفاته، وإحصائها، والتعبد لله بمقتضاها؛ فمن كان بالله أعرف كان له أخلص، وفيما عند الله تعالى أرغب، ومن عقوبته أرهب.

ثانيا: اشتغال الجوارح بالطاعات:

إذا عَمرَ الإخلاص قلب العبد، وتحققت أعمال القلوب من محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والتوكل على الله والصبر له، والخوف منه، والرجاء فيما عنده؛ انطلقت الجوارح -ولا بد- في طاعة الله تعالى، ولا يتخلف ذلك أبدًا، وفي الصحيح: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». فصلاح الظاهر تابع لصلاح الباطن في الأصل، والارتباط بينهما حاصل.

ثالثا: الاجتماع، والوحدة، والائتلاف:

وهذا هو ما دعا رب العالمين عباده إليه؛ قال تعالى: « وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ » (آل عمران: ١٠٣)، وقال سبحانه: « وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ » (آل عمران: ١٠٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: «من ترك الطاعة وفارق الجماعة، ثم مات؛ فقد مات ميتة جاهلية»، وقال صلى الله عليه وسلم: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب». وقد اقتفى السلف الصالح نصوص الكتاب والسنة؛ فكانوا مجتمعين على اعتقاد واحد وهو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الواحد منهم ينقله إلى من يأتي بعده، ولم يختلفوا في مسألة من مسائل الاعتقاد أبدًا.

ثمرة علم التوحيد في الحياة الآخرة:

إن امتناع الخلود في النار لمن ظلم نفسه من الموحدين، ودخول الجنة ابتداء لمن اقتصد من أصحاب اليمين، والفوز بالدرجات العلى لمن سبق بالخيرات، مع رضوان الله تعالى ورؤية وجهه الكريم في الجنات، هو غاية المطالب، ونهاية الرغائب لجميع المؤمنين، قال تعالى: « ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ » (فاطر: ٣٢، ٣٣).

وفي هذه الآية حرف ينبغي أن يكتب بماء الذهب فرحًا وطربًا؛ لأنه يشير إلى كرامة من الله لهذه الأمة لا تعدلها كرامة، ألا وهو حرف (الواو) في قوله تعالى: «يَدۡخُلُونَهَا». فالداخلون هنا هم الموحدون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأصنافها الثلاثة المذكورة في الآية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الشركات التي يحرم التعامل على أسهمها من جهة الاكتساب

أولاً: البنوك الربوية

إعداد
د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعدُ:

فإن من الشركات المساهمة التي يحرم التعامل على أسهمها: لقيامها بأنشطة مخالفة للشرع وخبث مكسبها: الشركات التي تحترف التعامل بالربا أخذا وإعطاءً (البنوك التجارية)، والتي ظهرت في البلاد الإسلامية أثناء وقوعها فريسة للاحتلال الأجنبي، وهو ما احتاج من فقهاء المسلمين بيان الحكم الشرعي في أعمالها، ولأن البنوك التجارية وظيفتها الرئيسة العمل كوسيط بين المقرضين والمقترضين والاضطلاع بعملية الاقتراض والإقراض قصيرة الأجل، وتزاول الأعمال المصرفية من قبولها للودائع وتقديم القروض (ولذا تسمى ببنوك الودائع) وخصم الأوراق التجارية أو تحصيلها وفتح الاعتمادات المستندية، وتحقق أرباحها من الفارق بين سعر الإقراض وسعر الاقتراض، ومن ثم فما تقوم به هذه البنوك كان تعاملا ربويًا محرمًا في الشرع الحنيف.

اتفاق العلماء على أن فوائد البنوك من الربا المحرم:
لم يختلف فقهاء المسلمين عند ظهور البنوك التجارية في أن نشاط هذه البنوك يندرج تحت الربا المحرم شرعًا، وذلك استنادًا إلى أن الإقراض أو الاقتراض بفائدة هو من الربا المحرم، وعلى ذلك لم يكن تحريم التعامل على أسهم هذه البنوك بالبيع والشراء محل خلاف. ذهب كافة الفقهاء إلى تحريم التعامل مع البنوك بالإقراض أو الاقتراض كما حرموا العمل فيها، وصدرت فتاوى عديدة بذلك فصدرت بذلك فتاوى عديدة نعرض لبعضها فيما يلي:

فتوى الشيخ/ بكري الصدفي:

صدرت فتوى الشيخ/ بكري الصدفي مفتي الديار المصرية والتي انتهى فيها إلى أن الأخذ من أموال

البنك بالفوائد على سبيل التجارة ربًا وهو محرم شرعًا؛ حيث قال في هذه الفتوى: "... وأما الأخذ من دراهم البنك على سبيل التجارة بالفائض (بالفوائد) كما هو المعتاد الآن؛ فلا شك أنه من باب الربا المحرم إجماعًا..." (صدرت فتوى الشيخ/ بكري الصدفي مفتي الديار المصرية بتاريخ ٢٧ المحرم ١٣٢٥هـ الموافق ١١ مارس ١٩٠٧- الفتاوى الإسلامية من دار الإفتاء المصرية، مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، المجلد الثالث،١٤٠١هـ- ١٩٨١م، السؤال رقم ٤١٣، ص٨٢٥).

فتوى الشيخ/ عبد المجيد سليم:

كما صدرت فتوى الشيخ/ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية والتي سُئل فيها من كاتب يعمل في بنك تسليف عن حكم عمله فأجاب: "بأن مباشرة الأعمال التي تتعلق بالربا من كتابة وغيرها إعانة على ارتكاب المحرم، وكل ما كان كذلك فهو محرم شرعًا. (صدرت فتوى الشيخ/ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية بتاريخ ١٩٤٤/٩/١٦. انظر: الفتاوى الإسلامية من دار الإفتاء المصرية، المرجع السابق، المجلد الرابع، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، السؤال رقم ٦٢٠، ص١٢٩٣).

فتوى الشيخ/ أحمد هريدي:

كما صدرت أيضًا فتوى الشيخ/ أحمد هريدي مفتي جمهورية مصر العربية والتي يقول فيها: "... نبادر فنحذر السائل من إيداع أمواله بالبنوك الأجنبية حتى لا يؤدي ذلك إلى نفع هذه البنوك وتقويتها على مزاولة ما هي بسبيله لمصلحة أصحابها الذين يستخدمون أموالهم أو بعضًا منها فيما يناهض الإسلام والمسلمين. وإذا لم يكن بد من الإيداع في البنوك فليودع أمواله في بنوك البلاد الإسلامية على أن لا يتقاضى أيّ فوائد على هذه الأموال؛ لأن الفوائد ربًا. وهو محرم شرعًا في جميع صوره وأحواله. ثانيًا: بالنسبة لفوائد الأموال التي أودعها فعلا بالبنوك الأجنبية فتقضى النصوص من النظرة الأولى بتحريم اخذ هذه الفوائد وعدم جواز الانتفاع بها على أي وجه ولو بالتصدق أو الإنفاق في المشروعات العامة..." (صدرت فتوى الشيخ/ أحمد عبد العال هريدي مفتي الديار المصرية بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٣٨٩هـ الموافق٢ يوليو ١٩٦٩).

فتوى الشيخ/ عبد اللطيف حمزة:

كما صدرت فتوى الشيخ/ عبد اللطيف حمزة مفتي الديار المصرية سنة ١٩٨٢، والتي جاء بها: "... اتفق فقهاء الشريعة الإسلامية على أن الفائدة المحددة التي تعطيها البنوك على الإيداع أو الاقتراض من قبيل ربا الزيادة المحرمة شرعًا فلا يُباح للسائل أن ينتفع بها، وله -إن أخذها- أن يوزعها على الفقراء والمساكين؛ تخلصًا منها، ولكن لا يُثاب عليها؛ لأنه مال حرام، والله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإلا تركها للبنك ليتولى صرفها حسبما يرى والله سبحانه وتعالى أعلم..." (صدرت فتوى الشيخ/ عبد اللطيف حمزة المفتي الأسبق بتاريخ ١٩ذو القعدة سنة ١٤٠٢ هجرية - ٧ سبتمبر سنة ١٩٨٢م).

فتوى الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق:

صدرت فتاوى عديدة للشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق التي لم يَحد فيها قيد أنملة عن تحريم فائدة البنوك؛ لكونها من الربا المحرم، فصدرت فتواه والتي جاء بها: "... اصطلح فقهاء الشريعة على أن ربا الزيادة هو زيادة مال بلا مقابل في معاوضة مال بمال، وقد حرم الله الربا بالآيات الكثيرة في القرآن الكريم.. ولما كان مقتضى هذه النصوص أن الربا يدخل فيه كل زيادة على المال المقترض أو المودع بالشرط والتحديد بلا مقابل، وقد أجمع المسلمون على تحريمه؛ إعمالاً لنصوص القرآن والسنة الشريفة، ولما كانت شهادات الاستثمار من الفئة (ب)

ذات فائدة محددة مشروطة مقدمًا زمنًا ومقدارًا، كانت داخلة في ربا الزيادة المحرم شرعًا بمقتضى تلك النصوص، باعتباره قرضًا بفائدة مشروطة مقدمًا زمنًا ومقدارًا، أما ما جاء بالسؤال من أن قيمة هذه الشهادات الشرائية الآن مع أرباحها أقل من قيمتها وقت إهدائها إلى السائل أو وقت الشراء فلا يصلح مبررًا لاستحلال هذه الفوائد الربوية، أما الفائدة التي استحقت عليها طبقا لنظام إصدارها فهي من باب ربا الزيادة المحرم، باعتبارها محددة زمنًا ومقدارًا، ولا يحل للمسلم الانتفاع بهذه الفائدة باعتبارها من الأكساب المحرمة، وله قبضها وتوجيهها إلى أي طريق من طرق البر...". (الفتاوى الإسلامية من دار الإفتاء المصرية، المجلد التاسع، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، الطلب رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٨١، رقم (١٢٦٠)، ص٣٣٥٣).

كما صدرت فتاوى عديدة عن الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق بأن الاستثمار بإيداع الأموال في البنوك بفائدة محددة مقدمًا أو بشراء شهادات الاستثمار ذات الفائدة المحددة مقدمًا قرض بفائدة. وبهذا الوصف تكون الفائدة من ربا الزيادة المحرم شرعًا (انظر بعضا من هذه الفتاوى في: الفتاوى الإسلامية من دار الإفتاء المصرية: المجلد التاسع، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الطلب المقيد برقم ١٩٩ لسنة ١٩٧٩، رقم الفتوى بالمجلد (١٢٥٢)، ص٣٣٣٥ و٣٣٣٦-، والطلب المقيد برقم ١٠٨ لسنة ١٩٧٩، رقم الفتوى بالمجلد (١٢٥٣)، ص٣٣٣٧و٣٣٣٨- ؛ والطلب المقيد برقم ١٦٦ لسنة ١٩٨٠، رقم الفتوى بالمجلد (١٢٥٦)، ص٣٣٤٣و٣٣٤٤-. والطلب المقيد برقم ٧٧٦ لسنة ١٩٨٠، رقم الفتوى بالمجلد (١٢٥٩)، ص٣٣٥٠: ٣٣٥٢-).

رد الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق
على مبيحي الربا مع الدولة:

كما صدرت فتوى الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق التي رد بها على بعض العلماء الذين أفتوا بجواز الإيداع بالبنوك لقاء فائدة؛ حيث إن التعامل ليس مع الأفراد ولكن مع المصارف التي تتبع الحكومة، فأكد على أن الربا لا يكون في معاملات الأفراد مع بعضهم البعض فقط، وانما في تعاملاتهم مع الدولة، وأيضًا في معاملات فروع الدولة المختلفة مع بعض البعض، فالربا محرم بكل صوره وأشكاله وأيًا كانت أطرافه، مؤكدًا أن الفائدة المحددة التي تصرفها البنوك نظير إيداع الأموال بها هي من قبيل ربا الزيادة المحرم شرعا ولا فرق في حرمة التعامل بالربا بين الأفراد والجماعات أو بين الأفراد والدولة حيث يقول: "... أما القول بأن هذا التعامل ليس بين الأفراد ولكن مع المصارف التي تتبع الحكومة فإن الوصف القانوني لهذه المعاملات قرض بفائدة لا يختلف في جميع الأحوال، ولم يرد في النصوص الشرعية تفرقة بين الربا بين الأفراد وبين الربا بينهم وبين الدولة، وعلى المسلم أن يكون كسبه حلالاً يرضى عنه الله والابتعاد عن الشبهات..".

(بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة: الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق، دار الحديث بالقاهرة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، المجلد الثالث، ص٢١: ٢٤).

مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة
يؤكد أن فوائد البنوك من الربا المحرم:

لم يختلف فقهاء المسلمين في مبدأ الأمر في أن نشاط هذه البنوك يندرج تحت الربا المحرم شرعًا، وذلك استنادًا إلى أن الإقراض أو الاقتراض بفائدة هو من الربا المحرم، ولم يكن تحريم فائدة البنوك يومًا مثار شك أو ريبة عند علماء الأمة إلا أنه قد حدثت عقب ذلك بعض المحاولات الفردية لإباحة بعض صور القرض بفائدة كفوائد دفتر التوفير واباحة بعض معاملات البنوك، وهذا

ما حدا بالأزهر إلى عقد المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة -ومن مهامه بحكم قانون الأزهر بيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية أو اقتصادية - في شهر المحرم سنة ١٣٨٥هـ الموافق مايو ١٩٦٥م، وضم هذا المؤتمر ممثلين ومندوبين عن خمس وثلاثين دولة إسلامية من رجال القانون والاقتصاد والاجتماع، وعقد هذا المؤتمر برئاسة الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر، وعضوية: الشيخ محمد زهرة، والشيخ علي الخفيف والشيخ فرج السنهوري، والشيخ محمد علي السايس، والشيخ عبدالله المشد، وغيرهم من العلماء الكبار، وكان من ضمن قرارات هذا المؤتمر: تحريم التأمين التجاري، وإجازة بعض صور التأمين التعاوني، وإجازة نظام المعاش الحكومي وما شابهه من نظم الضمان الاجتماعي، فضلاً عن القرار الخاص بشأن معاملات البنوك.

وقد صدرت قرارات المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة في شهر محرم ١٣٨٥هـ الموافق مايو ١٩٦٥، وفيما يخص المعاملات المصرفية صدرت قرارات هذه المؤتمر والتي تضمنت ما يأتي:

- إن الفائدة على أنواع القروض كلها ربًا محرم، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي، وما يسمى بالقرض الإنتاجي؛ لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين.
- وان كثير الربا وقليله حرام، كما يشير إلى ذلك الفهم الصحيح في قوله تعالى: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ" (سورة آل عمران: ١٣٠).
- وان الإقراض بالربا محرم لا تُبيحه حاجة ولا ضرورة، والاقتراض بالربا محرم كذلك، ولا يرفع إثمه إلا إذا دعت الضرورة، وكل امرئ متروك لدينه في تقدير ضرورته.
- وان أعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية التي يقوم عليها العمل بين التجار والبنوك في الداخل، كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة، وما يؤخذ في نظير هذه الأعمال ليس من الربا.
- وان الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتماد بفائدة وسائر أنواع الإقراض نظير فائدة كلها من المعاملات الربوية وهي محرمة، وعلى ذلك فقد انتهى هذا المؤتمر إلى أن فوائد هذه البنوك هي من الربا المحرم.

دار الإفتاء المصرية تؤكد ان فوائد البنوك من الربا المحرم:

وعلى نفس النهج السابق الرافض لمعاملات البنوك التجارية سارت دار الإفتاء المصرية حيث ورد إليها السؤال المقيد برقم ٥١٥ لسنة ١٩٨٩ انتهى فيه د./ محمد سيد طنطاوي المفتي الأسبق إلى أن: "... إيداع الأموال في البنوك أو إقراضها أو الاقتراض منها بأي صورة من الصور مقابل فائدة محددة مقدمًا زمنًا ومقدارًا يعتبر قرضًا بفائدة، وكل قرض بفائدة محددة مقدمًا حرام، وختم فتواه بقوله: وننصح كل مسلم بأن يتحرى الطريق الحلال لاستثمار ماله، والبعد عن كل ما فيه شبهة حرام لأنه مسئول يوم القيامة عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه.....". (فتوى د. محمد سيد طنطاوي مسجلة بدار الإفتاء المصرية برقم ١٢٤/٤١ بتاريخ ١٤رجب ١٤٠٩هـ الموافق ١٩٨٩/٢/٢٠).

قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بتحريم فوائد البنوك:

صدر قرار مجمع الفقه التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الثاني بجدة في المدة من ١٠ - ١٦ ربيع آخر ١٤٠٦هـ- الموافق ٢٢-٢٨ ديسمبر ١٩٨٥م، والذي نص في القرار السادس بشأن موضوع تفشي المصارف الربوية وتعامل الناس معها وحكم أخذ الفوائد الربوية على أن

كل زيادة على الدين الذي حل أجله، وعجز المدين عن الوفاء به مقابل تأجيله وكل زيادة على القرض منذ بداية العقد ربا محرم شرعًا. ويضم مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي علماء (٥٥) دولة إسلامية، وفيه أكثر من مئة خبير في جميع التخصصات.

وأكد مجمع الفقه الإسلامي الدولي على أن ودائع البنوك هي عقد قرض، وعند علماء الاقتصاد فالمصرف أو البنك هو مؤسسة تتخصص في إقراض واقتراض النقود وقد اتفق أساتذة الاقتصاد وعلماء القانون وفقهاء الشريعة على هذا التعريف، فالوظيفة الأولى للبنوك هي الاتجار في الديون، بأن تقوم بإقراض ما أودع لديها -أو ما اقترضته من المودعين- مقابل زيادة محددة على أصل المال، ووظيفتها الثانية هي: خلق الديون أو الائتمان، أي إقراض ما لم تملكه بالفعل؛ فتَخلُق النقود وتقرضها، والبنك في هذا أسوأ من ربا الجاهلية بكثير. وقرّر المجمع التأكيد على دعوة الحكومات الإسلامية إلى تشجيع المصارف الإسلامية القائمة، والتمكين لإقامتها في كل بلد إسلامي؛ لتغطي حاجة المسلمين كيلا يعيش المسلم في تناقض بين واقعه ومقتضيات عقيدته.

قرار المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي:

وإلى نفس هذه النتيجة انتهى المجمع الفقهي الإسلامي في دورته التاسعة المنعقدة بمبنى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في الفترة من ١٢رجب ١٤٠٦هـ إلى ١٩رجب ١٤٠٦هـ، وقرار هيئة كبار العلماء في السعودية، وقرارات المجمع الفقهي في السودان، والمجمع الفقهي في الهند، والمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث وغيرها. فضلا عن قرارات عدد من مؤتمرات الاقتصاد الإسلامي التي ضمت عددًا كبيرًا من الفقهاء والاقتصاديين على مستوى العالم الإسلامي مثل قرار المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي الذي حضره عدد كبير من فقهاء الشريعة، وعلماء الاقتصاد والقانون عام ١٣٩٦هـ، والذي انتهى بالإجماع إلى الحكم بتحريم الفوائد البنكية، والمؤتمر الثاني للمصارف الإسلامية سنة ١٩٨٣ م، ومؤتمر الفقه الإسلامي في دبي وفي الرياض، والمؤتمر العالمي للفقه الإسلامي في مكة.

فتوى الدكتور/ محمد سيد طنطاوي بإباحة شهادات الاستثمار بأنواعها (أ وب وج):

وعلى ذلك لم يحدث اختلاف في تحريم معاملات البنوك التجارية، وظل الأمر كذلك حتى صدرت فتوى مفتي مصر الأسبق الدكتور/ محمد سيد طنطاوي بإباحة شهادات الاستثمار بأنواعها (أ و ب و ج)، ثم أعقب ذلك بإصدار الفتوى التي تنص على أن فوائد البنوك ليست من الربا المحرم، وأنه لا فرق بين بنك إسلامي وغير إسلامي (صدرت هذه الفتوى بتاريخ في ١٩٨٩/٩/٨ الموافق ٧ صفر ١٤١٠هـ).

ثم أتبع د. محمد سيد طنطاوي ذلك عام ١٩٩١م بفتواه التي انتهى فيها إلى أن فوائد المصارف حلال في جميع أنحاء الأرض (د.وهبه مصطفى الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر - دمشق، القسم الثالث: العقود أو التصرفات المدنية الماليّة، الفصل الأول عقد البيع، ربا القرض، ج٥، ص٣٧٤١).

تعارض الأزهر ودار الإفتاء المصرية بشأن تحريم فوائد البنوك:

بمجرد صدور فتوى دار الإفتاء المصرية بأن

فوائد البنوك ليست من الربا المحرم، تصدى الشيخ/ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق للرد على المفتي الأسبق الدكتور/ محمد سيد طنطاوي مؤكدًا على أن: "... حكم معاملات البنوك قد أوضحه العلماء في أقطار المسلمين، وجرت في شأنه فتواهم الجماعية، حتى صار في حكم الأمر المعلوم من الدين بالضرورة، ويعلو على الأمور المختلف عليها... وأن الأزهر الشريف قد وضع أمام الناس جميعًا قرارات مؤتمر علماء المسلمين الجماعية في عام ١٣٨٥/١٩٦٥م فيما يحل ما يحرم في شأن الفوائد على القروض.

ظل الأزهر على موقفه الرافض لفتوى دار الإفتاء بشأن فوائد البنوك حتى توفي شيخه الشيخ/ جاد الحق، عليه رحمة الله، فتولى مشيخة الأزهر مفتي مصر د. محمد سيد طنطاوي، وعقب ذلك صدر قرار مجلس مجمع البحوث الإسلامية والذي انتهى إلى مخالفة الفتاوى السابقة وقرر إباحة معاملات كافة البنوك.

وننوِّه إلى أن الفتوى التي صدرت بإباحة معاملات البنوك لم تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية وإنما صدرت عن مجلس مجمع البحوث وهو المجلس الذي يضم أعضاء المجمع من مصر فقط، وعلى ذلك فهذه الفتوى لم تمس قرارات المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة في شهر محرم ١٣٨٥هـ الموافق مايو ١٩٦٥م والتي أكدت أن فوائد هذه البنوك هي من الربا المحرم، فهذا الرأي خاص بالموقعين على هذه الفتوى من مصر، وكان عدد الحضور في هذا المجمع ٢٣ حال أن عدد الأعضاء ٥٠ وافق منهم ٢٠ على هذا الرأي، وجميعهم متخصصون في علوم الفلسفة والتفسير والحديث والقانون، ولم يحضر سوى اثنين من المتخصصين في الفقه والأصول وهما أ.د/عبد الفتاح الشيخ وأ.د محمد رأفت عثمان، وقد رفضا هذه الفتوى.

واستند مجلس مجمع البحوث في تبرير هذه الفتوى إلى أن الفوائد البنكية قائمة على عقد الوكالة بين البنك والعميل فالبنك وكيل عن العميل! وهذا خطأ قانوني ظاهر، وذلك لأن عقد الوديعة في البنوك التقليدية هو عقد قرض، وهذا ما ذهب إليه غالبية الفقه الفرنسي والمصري على السواء. بل لقد نصت المادة ٧٢٦ من القانون المدني على أنه: " إذا كانت الوديعة مبلغًا من النقود أو أي شيء آخر مما يهلك بالاستعمال وكان المودع عنده مأذونًا له في استعماله اعتبر العقد قرضًا"، وعلى ذلك فلا خلاف من وجهة النظر القانونية في أن طبيعة الودائع في البنوك الربوية لا يستقيم القول بالوكالة، وانما هي قرض، ومن ثم فإن الحق الواضح الجلي أن معاملات البنوك القائمة على الإقراض والاقتراض بفائدة هي من الربا المحرم، ويترتب على ذلك أنه لا يجوز الاكتتاب في أسهم شركة يكون غرضها تأسيس أحد هذه البنوك. كما لا يجوز التعامل بالبيع والشراء على أسهم هذه البنوك، وكذلك يحرم تداول أسهم الشركات التمويلية المعروفة باسم شركات الليزنج Leasing التي ينحصر نشاطها في المعاملات الربوية.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا الحلال الطيب، وأن يباعد بيننا وبين الحرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه .. قواعد وأحكام

إعداد: د. جمال المراكبي

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: حدثني محمود بن الربيع عن عتبان بن مالك قال: قدمت المدينة فلقيت عتبان فقلت: حديثٌ بلغني عنك. قال: أصابني في بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْءِ، فَبَعَثْتُ إلى رَسولِ الله صَلَى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أنِّي أُحِبُّ أنْ تَأتِيَني فتُصَلِّيَ في مَنْزِلي، فأتَّخِذَهُ مُصلًى، قالَ: فأتى النبيُّ صَلى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، ومَن شاءَ اللَّهُ من أصْحابِه، فدخلَ وهو يُصلِّي في مَنْزِلي وأصْحابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بيْنَهُمْ، ثُمَّ أسْنَدُوا عُظْمَ ذلكَ وكُبْرَهُ إلى مالكِ بنِ دُخْشُمٍ، قالوا: ودُّوا أنَّه دعا عليه فَهَلَكَ، ودُّوا أنَّه أصابَهُ شرٌّ، فقضى رسولُ اللَّه صَلى اللَّهُ عليه وسلَّمَ الصَّلاةَ، وقالَ: أليسَ يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، وأنِّي رَسولُ اللَّهِ؟ قالوا: إنَّه يقولُ ذلكَ، وما هو في قلْبِه، قالَ: لا يَشْهَدُ أحدٌ أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، وأنِّي رَسولُ اللَّهِ، فَيَدْخُلَ النَّارَ، أوْ تَطْعَمَهُ. قالَ أنسٌ: فأعْجَبَني هذا الحَديثُ، فَقُلْتُ لابْني: اكْتُبْهُ فكَتَبَهُ. (صحيح مسلم: ٣٣).

وعن ابن شهاب قال: أخبرني محمود بن الربيع أنَّ عتبان بنَ مالكٍ، وكانَ مِن أصْحابِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ممَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الأنْصارِ: أنَّه أتى رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنِّي أنْكَرْتُ بَصَرِي، وأنا أُصَلِّي لِقَوْمِي، فإذا كانَتِ الأمْطارُ سالَ الوادِي الذي بَيْنِي وبيْنَهُمْ، لَمْ أسْتَطِعْ أنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فأُصَلِّيَ لهمْ، فَوَدِدْتُ يا رَسولَ اللَّهِ، أنَّكَ تَأْتي فَتُصَلِّي في بَيْتي فأتَّخِذُهُ مُصَلًّى، فقالَ: سَأَفْعَلُ إنْ شاءَ اللَّهُ قالَ عِتْبانُ: فَغَدا رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهارُ، فاسْتَأْذَنَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فأذِنْتُ له، فَلَمْ يَجْلِسْ حتَّى دَخَلَ البَيْتَ، ثُمَّ قالَ لِي: أيْنَ تُحِبُّ أنْ أُصَلِّيَ مِن بَيْتِكَ؟ فأشَرْتُ إلى ناحِيَةٍ مِنَ البَيْتِ، فَقامَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فَكَبَّرَ فَصَفَفْنا، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، وحَبَسْناهُ على خَزِيرٍ صَنَعْناهُ، فَثابَ في البَيْتِ رِجالٌ مِن أهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ فاجْتَمَعُوا، فَقالَ قائِلٌ منهمْ: أيْنَ مالِكُ بنُ الدُّخْشُنِ؟ فَقالَ بَعْضُهُمْ: ذلكَ مُنافِقٌ، لا يُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ، قالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: لا تَقُلْ،

ألا تراهُ قال: لا إلهَ إلا اللَّهُ، يُريدُ بذلكَ وجْهَ اللَّه؟ قال: اللَّهُ ورسولُهُ أعلمُ، قال: قُلْنا: فإنَّا نرى وجْهَهُ ونصيحَتَهُ إلى المُنافقِينَ، فقالَ: فإنَّ اللَّهَ حرَّمَ على النَّارِ مَن قالَ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، يبْتَغِي بذلكَ وجْهَ اللَّهِ. (صحيح البخاري: ٥٤٠١).

الشرح والبيان:

(عتبان بن مالك): الخزرجي السالمي من بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، هو بكسر العين ويجوز ضمها.

(أنه أتى): وفي رواية عند مسلم: أنه بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب منه ذلك، فيحتمل أن يكون نسب إتيان رسوله إلى نفسه مجازًا، ويحتمل أن يكون أتاه مرة وبعث إليه أخرى إما متقاضيًا وإما مذكرًا.

وفي الطبراني أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم يوم جمعة: لو أتيتني يا رسول الله... وفيه أنه أتاه يوم السبت، وظاهره أن مخاطبة عتبان بذلك كانت حقيقية لا مجازًا.

(قد أنكرت بصري): كذا ذكره الأكثرون، وفي رواية: (لما ساء بصري)، ولمسلم: (أصابني في بصري بعض الشيء)، وكل ذلك ظاهر في أنه لم يكن بلغ العمى إذ ذاك.

لكن أخرجه المصنف في باب الرخصة في المطر فقال فيه: إن عتبان كان يؤم قومه وهو أعمى، وأنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها تكون الظلمة والسيل، وأنا رجل ضرير البصر.

والراجح أنه قول محمود: (إن عتبان كان يؤم قومه وهو أعمى)؛ أي حين لقيه محمود وسمع منه الحديث، لا حين سؤاله للنبي صلى الله عليه وسلم، ويبينه قوله: فجئت إلى عتبان وهو شيخ أعمى يؤم قومه.

وقوله: (وأنا رجل ضرير البصر)؛ أي أصابني فيه ضر، كقوله: (أنكرت بصري)، ويؤيد هذا قوله في رواية ابن ماجه: (لما أنكرت من بصري)، وقوله في رواية مسلم: (أصابني في بصري بعض الشيء)؛ فإنه ظاهر في أنه لم يكمل عماه، لكنَ رواية مسلم من طريق حماد عن ثابت بلفظ (أنه عمي فأرسل).

وقد جمع ابن خزيمة بين الروايات فقال: قوله "أنكرت بصري" هذا اللفظ يُطلق على مَن في بصره سوء، وإن كان يُبصر بصرًا ما، وعلى من صار أعمى لا يبصر شيئًا. انتهى.

والأولى أن يقال: أطلق عليه عمى لقربه منه ومشاركته له في فوات بعض ما كان يعهده في حال الصحة، وبهذا تأتلف الروايات. والله أعلم.

(أصلي لقومي): أي لأجلهم، والمراد أنه كان يؤمهم.

(سال الوادي): أي سال الماء في الوادي. وللطبراني: وأن الأمطار حين تكون يمنعني سيل الوادي.

(بيني وبينهم): وفي رواية: يسيل الوادي الذي بين مسكني وبين مسجد قومي، فيحول بيني وبين الصلاة معهم.

(وددت): بكسر الدال الأولى؛ أي تمنيت.

(فتصلي): بسكون الياء ويجوز النصب لوقوع الفاء بعد التمني، وكذا قوله: (فأتخذه) بالرفع ويجوز النصب.

(سأفعل إن شاء الله): هو هنا للتعليق، ويجوز أن يكون للتبرك، لاحتمال اطلاعه صلى الله عليه وسلم بالوحي على الجزم بأن ذلك سيقع.

(قال عتبان): ظاهر هذا السياق أن الحديث من أوله إلى هنا من رواية محمود بن الربيع بغير واسطة، ومن هنا إلى آخره من روايته عن عتبان صاحب القصة.

وقد يقال: القدر الأول مرسل؛ لأن "محمود" يصغر عن حضور ذلك، لكن وقع التصريح في أوله

بالتحديث بين عتبان ومحمود.

(فغدا عليّ): أي بالغد؛ فالسؤال والطلب وقع يوم الجمعة، والتوجه إليه وقع يوم السبت.

(وأبـو بكر): لم يذكر جمهور الـرواة غيره، حتى جاء في رواية الأوزاعي: فاستأذنا فأذنت لهما. لكن في روايـة أبي أويس: ومعه أبو بكر وعمر. ولمسلم من طريق أنس: فأتاني ومن شاء الله من أصحابه. وللطبراني من وجـه آخـر عـن أنـس "في نفر من أصحابه": فيحتمل الجمع بأن أبا بكر صحبه وحده في ابتداء التوجه، ثم عند الدخول أو قبله اجتمع عمر وغيره من الصحابة فدخلوا معه. أو أن يقال: ذكر أبي بكر وكذلك عمر للاعتناء بشأنهما.

(فلم يجلس حين دخل) وفي رواية: حتى دخل. قال عياض: والمعنى فلم يجلس في الدار ولا غيرها حتى دخل البيت مبادرًا إلى ما جاء بسببه.

(فلما دخل لم يجلس حتى قال: أين تحب أن أصلي من بيتك) وفي رواية: (في بيتك).

(وحبسناه): أي منعناه من الـرجـوع، وهـذا من الإلحاح على تقديم الطعام.

(على خزيرة): طعام يصنع من لحم يقطع صغارًا، ثم يصبّ عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرّ عليه الدقيق، وإن لم يكن فيه لحم فهو عصيدة. وقيل هي حساء من دقيق فيه دسم.

(فثاب في البيت رجال): أي اجتمعوا. قال الخليل: المثابة مجتمع الناس بعد افتراقهم، ومنه قيل للبيت الحرام مثابة للناس. ويقال: ثاب إذا رجع وثاب إذا أقبل.

(من أهل الدار): أي المحلة أو الحي، كقوله "خير دور الأنصار دار بني النجار": أي محلتهم، والمراد أهلها.

(فقال قائل منهم): لم يُسَمّ.

(أين مالك بن الدخيشن أو ابن الدخشن): والشك فيه من الـراوي هل هو مصغر أو مكبر. وفي رواية بالميم بـدل الـنـون، ونقل الطبراني أن الصواب "الدخشم" بالميم.

(فقال بعضهم): يعني أحدهم وقيل هو عتبان.

قال ابن عبد البر في التمهيد: الرجل الذي سارّ الـنـبـيَّ صلى الله عليه وسلم في قتل رجـل من المنافقين هو عتبان، والمنافق هو مالك بن الدخشم.

قلت: ومالك هذا ممن شهد بدرًا، وسارّ النبي يعني: أسرّ إليه القول.

قال ابن عبد البر: لم يختلف في شهود مالك بدرًا، وهو الـذي أسر سهيل بن عمرو، ثم ساق بإسناد حسن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمن تكلم فيه: "أليس قد شهد بدرًا؟". قال ابن حجر: "وفي المغازي لابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث مالكا هذا ومعن بن عدي فحرقا مسجد الضرار": فدل على أنه بريء مما اتُّهم به من النفاق، أو كان قد أقلع عن ذلك، أو النفاق الذي اتُّهم به ليس نفاق الكفر، وإنما أنكر الصحابة عليه تودده للمنافقين، ولعل له عذرًا في ذلك كما وقع لحاطب.

(ألا تراه قد قال لا إله إلا الله): ولمسلم: (أليس يشهد أن لا إلـه إلا الله)، وكأنهم فهموا من هذا الاستفهام أن لا جزم بذلك. ولولا ذلك لم يقولوا في جوابه: إنه ليقول ذلك وما هو في قلبه. كما وقع عند مسلم من طريق أنس عن عتبان.

(فـإنـا نـرى وجـهـه): أي توجُّهه (ونصيحته إلى المنافقين).

قال الحافظ: ليس لعتبان في الصحيحين سوى هذا الحديث. وقد أخرجه البخاري في أكثر من عشرة مواضع مطولاً ومختصرًا، وقد سمعه من عتبان أيضًا أنس بن مالك كما أخرجه مسلم، وسمعه أبـو بكر بن أنس مع أبيه من عتبان كما أخرجه

الطبراني. وسيأتي في "باب النوافل جماعة" أن أبا أيوب الأنصاري سمع محمود بن الربيع يحدث به عن عتبان فأنكره لما يقتضيه ظاهره من أن النار محرمة على جميع الموحدين، وأحاديث الشفاعة دالة على أن بعضهم يعذب، لكن للعلماء أجوبة عن ذلك:

منها ما رواه مسلم عن ابن شهاب أنه قال عقب حديث الباب "ثم نزلت بعد ذلك فرائض وأمور نرى أن الأمر قد انتهى إليها، فمن استطاع ألا يغتر فلا يغتر".

وفي كلامه نظر؛ لأن الصلوات الخمس نزل فرضها قبل هذه الواقعة قطعًا، وظاهره يقتضي أن تاركها لا يعذب إذا كان موحدًا. وقيل المراد أن من قالها مخلصًا لا يترك الفرائض؛ لأن الإخلاص يحمل على أداء اللازم. وتُعُقّب بمنع الملازمة.

وقيل: المراد تحريم التخليد أو تحريم دخول النار المعدة للكافرين لا الطبقة المعدة للعصاة.

وقيل: المراد تحريم دخول النار بشرط حصول قبول العمل الصالح والتجاوز عن السيئ، والله أعلم.

وقد سبق أن أوردنا عدة أحاديث في كلمة التوحيد في باب السنة.

فوائد منتقاة من الحديث:

وفي هذا الحديث من الفوائد:

- كتابة الحديث بدأت من زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. قال أنس: فأعجبني هذا الحديث فقلت لابني اكتبه فكتبه.
- جواز إمامة الأعمى.
- جواز إخبار المرء عن نفسه بما فيه من عاهة، ولا يكون من الشكوى.
- وأنه كان في المدينة مساجد للجماعة سوى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم.
- والتخلف عن الجماعة في المطر والظلمة، ونحو ذلك.
- واتخاذ موضع معين للصلاة في البيت أو الدار.
- وأما النهي عن إيطان موضع معين من المسجد ففيه حديث رواه أبو داود، وهو محمول على ما إذا استلزم رياء ونحوه.
- وفيه تسوية الصفوف.
- وأن عموم النهي عن إمامة الزائر من زاره مخصوص بما إذا كان الزائر هو الإمام الأعظم فلا يكره، وكذا من أذن له صاحب المنزل.
- وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم.
- وفيه إجابة الفاضل دعوة المفضول.
- والتبرك بالمشيئة والوفاء بالوعد.
- واستصحاب الزائر بعض أصحابه إذا علم أن المستدعي لا يكره ذلك.
- والاستئذان على الداعي في بيته، وإن تقدم منه طلب الحضور.
- وأن اتخاذ مكان في البيت للصلاة لا يستلزم وقفيته، ولو أطلق عليه اسم المسجد.
- وفيه اجتماع أهل المحلة على الإمام أو العالم إذا ورد منزل بعضهم ليستفيدوا منه.
- والتنبيه على مَن يُظَن به الفساد في الدين عند الإمام على جهة النصيحة، ولا يعد ذلك غيبة.
- وأن على الإمام أن يتثبت في ذلك، ويحمل الأمر فيه على الوجه الجميل.

(انتهى شرح الحديث من: فتح الباري لابن حجر بتصرف يسير (١/٥١٩-٥٢٢)).

والحمد لله رب العالمين.

ضمانات الشريعة الإسلامية لحق الجنين في الحياة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

بتأمل النصوص الشرعية نجد أن حماية الجنين في بطن أمه لها صور كثيرة، منها:

إعداد **الشيخ/ عادل شوشة**
فرع المنصورة

أ- حرمة قتله خشية الفقر:

لقد عدَّ الإسلام قتل الطفل الضعيف من أكبر الكبائر، قال الله سبحانه: «وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا» (الإسراء: ٣١)، وقال تعالى: «قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ» (الأنعام:١٥١).

وعن ابن مسعود قال: سَأَلْتُ النَّبيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لله ندًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قُلْتُ: إنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ». (أخرجه البخاري: ٤٤٧٧، ومسلم:٨٦).

ب- تحريم الاعتداء على الجنين وتضمين المعتدي:

للجنين حق في الحياة، لا يجوز الاعتداء على حياته، والشرع المطهر -رعاية لحقه في الحياة- رتَّب على الجناية عليه أمورًا عدة منها:

١- إن الجناية على الجنين مضمونة بالمال، ولا تستوجب قصاصًا عند الجمهور، فإذا تلف الجنين بسبب الجناية على أمه يكون مضمونًا بالمال، فتكون الغرة إذا انفصل الجنين

ميتًا. وتكون الدية إذا انفصل الجنين حيًا ثم مات متأثرًا بالجناية. وعند المالكية يُوجبون القصاص من الجاني إذا انفصل الجنين حيًا ثم مات من جناية عمدًا. (انظر: بدائع الصنائع ٣٢٤/٧، المغني/٧٤. والغرة: دفع عبد أو أمة أو ما يقوم مقامها دية لهلاك الجنين بسبب الجناية عليه. انظر: المغني ٥٩/١٢).

ودليل وجوب الغرة: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "أن امرأتين من هذيل رمت إحداهما الأخرى فطرحت جنينها، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بغرة: عبد، أو أمة". (أخرجه البخاري في صحيحه (٥٧٥٨)، ومسلم في صحيحه (١٦٨١)).

٢ - أوجب الشافعي الكفارة في الجناية على الجنين، واختاره مالك استحسانًا.

٣ - يحرم الجاني من الميراث إذا كان ممن يرثه.

٤ - يجوز للقاضي أن يعزر من يعتدي على حياة الجنين بالإسقاط أو الإجهاض إذا كان يرى مصلحة في ذلك. (انظر: بدائع الصنائع ٣٢٥/٧، بلغة السالك لأقرب المسالك ٣٨٠/٤).

ج - إباحة الإفطار للحبلى والمرضع:

أجازت الشريعة الإسلامية الإفطار وجعلت الحبلى والمرضع من أهل الأعذار، وذلك من أجل مصلحة الولد الجنين الذي في البطن، والولد الذي يرتضع.

عن أنس بن مالك القشيري أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتغدى، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "هلم إلى الغداء"، فقال: إني صائم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل وضع للمسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحبلى والمرضع". (حديث حسن: سنن النسائي (٤٦٠/١) برقم: (٢٢٧٣)).

د- إباحة الغيلة بعد التأكد من عدم إضرارها بالطفل:

عَنْ جُدَامَةَ بِنْتِ وَهْبٍ الأَسَدِيَّةِ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ، حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ، فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ. (أخرجه مسلم (١٤٤٢)).

ومن معاني الغيلة: الرضاع أثناء الحمل، فالنبي صلى الله عليه وسلم أباحه لما تأكد أنه لا يضر الطفل رضيعًا أو جنينًا، وعليه فينبغي تجنب كل ما من شأنه إيقاع ضرر على الطفل.

هـ - النفقة على الأم الحامل:

أوجب الفقهاء على الزوج النفقة على زوجته الحامل، حتى لو كانت ناشزا أو مطلقة طلاقا بائنًا، وذلك لرعاية الحمل وصيانته من الضياع؛ ولأن النفقة على الحمل لا تكون إلا بالإنفاق على الأم الحامل، بدليل قوله تعالى: «وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» (البقرة: ٢٣٣). ونقل الإجماع على ذلك صاحب التاج والإكليل. (الحطاب، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن: مواهب الجليل، شرح مختصر خليل. ١٨٨/٤). وأيده بذلك صاحب مواهب الجليل، بقوله: "الناشز الحامل لها النفقة للحمل لا لأجلها". (المرجع السابق ١٨٧/٤، انظر: كتاب حقوق اليتيم في الفقه الإسلامي ص٣٧).

و- تأجيل إقامة الحد على المرأة الحامل من الزنا حتى تضع حملها:

مما يدل على عظيم عناية الإسلام بالطفل تأجيله لإقامة الحد على المرأة البغي من أجل ابنها، ومن الأدلة على ذلك:

١-قوله تعالى: «فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ» (الإسراء: ٣٣).

٢-قوله تعالى: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» (الأنعام:١٦٤).

فدلت الآية على أنه لا يُؤاخذ الإنسان بذنب غيره، وفي رجم الحامل اعتداء على جنينها، وقتل نفس معصومة بلا ذنب.

٣-عن بريدة قال: فجاءت الْغَامِدِيَّةُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، وَإِنَّهُ رَدَّهَا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَرُدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَحُبْلَى، قَالَ: إِمَّا لَا، فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي. فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ، قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ: اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ. فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا) الحديث. (أخرجه مسلم (١٦٩٥)).

٤- عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَى فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِيَّهَا فَقَالَ: أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا. فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشُكَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا. (أخرجه مسلم (١٦٩٦)).

قال ابن المنذر: «وأجمعوا على أن المرأة إذا اعترفت بالزنا وهي حامل أنها لا تُرجم حتى تضع حملها. (الإجماع (٤) ف (٦٣٥)).

وكذلك أجمع العلماء على أن المرأة الحامل إذا جنت عمدًا على نفس أو طرف، فإنه لا يُقتص منها في نفس ولا طرف حتى تضع حملها.

قال ابن رشد: وأجمعوا على أن الحامل إذا قتلت عمدًا لا يُقاد منها حتى تضع حملها. (بداية المجتهد (٢/٤٠٥)).

ز - إخراجه من بطن أمه إذا ماتت وولدها حي في بطنها:

قال العلماء: لو ماتت امرأة حامل والولد حيٌّ يتحرك، وقد تجاوز ستة أشهر، يُشق بطنها طولاً ويخرج الولد، لقوله تعالى: «وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا» (المائدة:٣٢). ومن تركه عمدًا حتى يموت فهو قاتل نفس، وعلى الأطباء استعمال الوسيلة الأسهل لاستخراج ما في بطنها).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تهنئة

يتقدم مجلس إدارة المركز العام لأنصار السنة المحمدية وأسرة مجلة التوحيد بخالص التهنئة لفضيلة **الشيخ/ عادل السيد عبد السلام**؛ لحصول نجله **الأستاذ/ محمود**، على درجة الماجستير من كلية العلوم، جامعة الأزهر بتاريخ ٢٠٢٤/٩/٢١م عن رسالة علمية بعنوان: «**دراسة نظرية الأشكال النووية في إطار النماذج الجماعية**».

سائلين الله تعالى له ولأسرته مزيدًا من التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين.

حقوق الجيران في الإسلام

إعداد الشيخ/ صلاح نجيب الدق
فرع بلبيس

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد: فقد أوصانا الله تعالى في كتابه العزيز، وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم بالجيران خيراً وإن كانوا غير مسلمين، حتى يعيش المجتمع في سلام وأمان. ومن المعلوم أن رابطة الجوار من أهم الروابط الاجتماعية التي تربط بين الناس في المجتمع الواحد؛ لأنها إذا صلحت، أخرجت من ثمار المحبة والمودة والتعاون والتكافل والتراحم ما يعود على الأفراد والمجتمعات بالخير والسعادة. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

تعريف الجار

الجار: هو الإنسان الذي يقرب مسكنه منك.

اسْم الْجَار يَشْمَل الْمُسْلم وَغَيْرَ الْمُسْلم وَالْعَابِد وَالْفَاسِق وَالصَّدِيق وَالْعَدُوّ وَالْغَرِيب وَالْبَلَدِيّ وَالنَّافِع وَالضَّارّ وَالْقَرِيب وَالْأَجْنَبِيّ، وَالأَقْرَب دَارًا وَالأَبْعَد، وَلَهُ مَرَاتِب بَعْضهَا أَعْلَى مِنْ بَعْض، فَأَعْلَاهَا مَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ الصِّفَات الْأُوَل كُلّهَا ثُمَّ أَكْثَرهَا وَهَلُمَّ جَرًا إِلَى الْوَاحِد، وَعَكْسه مَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ الصِّفَات الْأُخْرَى كَذَلِكَ، فَيُعْطِي كُلّ حَقّه بِحَسَب حَاله. (فتح الباري، لابن حجر جـ١٠صـ٤٥٦)

حدود الجوار

عن الحسن البصري أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْجَارِ، فَقَالَ: أَرْبَعِينَ دَارًا أَمَامَهُ، وَأَرْبَعِينَ خَلْفَهُ، وَأَرْبَعِينَ عَنْ يَمِينِهِ، وَأَرْبَعِينَ عَنْ يَسَارِهِ. (صحيح الأدب المفرد للألباني حديث ٨٠).

الإحسان إلى الجيران وصية رب العالمين

أوصانا الله تعالى في كتابه العزيز بالإحسان إلى الجيران؛ فقال سبحانه في آية الحقوق العشرة: (وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (النساء: ٣٦).

قال الإمام القرطبي رحمه الله: أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى

بحفظ الجار والقيام بحقه والوصاة برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه، ألا تراه سبحانه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين فقال تعالى: (والجار ذي القربى) أي القريب. (والجار الجنب) أي الغريب؛ قاله ابن عباس.

ثم قال القرطبي رحمه الله: الوصاة بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلما كان أو كافرا، وهو الصحيح. والإحسان قد يكون بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه (تفسير القرطبي جـ٥ صـ١٨٧).

اختيار الجار الصالح قبل الدار

ينبغي للمسلم العاقل أن يسأل عن جيرانه قبل أن يشتري أرضاً أو يسكن منزلاً أو يؤجر محلاً للتجارة، ومن المعلوم أن الإنسان قد يتأثر بجيرانه نتيجة لطول الجوار. فالجار الصالح يظهر خيره على جيرانه، والجار السوء يظهر شره على جيرانه، وإذا رجعنا إلى خير القرون نرى أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يحرصون على مجاورة النبي صلى الله عليه وسلم لكي يتعلموا أمور دينهم ودنياهم على يديه، وكان السلف الصالح من التابعين ومن بعدهم يحرصون على مجاورة أهل العلم والفضل لسنوات عديدة؛ ليتعلموا على أيديهم الخير.

إكرام الجيران

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه. (صحيح البخاري: ٦٠١٤).

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك. (صحيح مسلم: ٢٦٢٥).

وقد حثنا الرسول صلى الله عليه وسلم على مكارم الأخلاق، لما رتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة، فإن الجار قد يتأذى بقتار (بريح) قدر جاره، وربما تكون له ذرية فتهيج من ضعفائهم الشهوة، ويعظم على القائم عليهم الألم والكلفة، لا سيما إن كان القائم ضعيفا أو أرملة فتعظم المشقة ويشتد منهم الألم والحسرة.

قال العلماء: لما قال عليه السلام (فأكثر ماءها) نبه بذلك على تيسير الأمر على البخيل تنبيها لطيفا، وجعل الزيادة فيما ليس له ثمن وهو الماء، ولذلك لم يقل: إذا طبخت مرقة فأكثر لحمها، إذ لا يسهل ذلك على كل أحد. (تفسير القرطبي جـ٥ صـ١٩٠).

فائدة: ينبغي أن تكون الهدية لأقرب الجيران ثم الذي يليه.

عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال إلى أقربهما منك بابا. (صحيح البخاري: ٦٠٢٠).

ويجب أن نحذر أن يكون بجوارنا جار جائع ونحن نعلم، ولا نقدم له ما نستطيع من الطعام والشراب.

عن عبد الله بن عباس قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع. (صحيح الأدب المفرد، للألباني حديث ٨٢).

الإصلاح بين الجيران

حثنا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز على الإصلاح بين الناس وخاصة الجيران؛ لأنهم أقرب الناس جواراً لنا، فقال سبحانه: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات: ١٠).

ولقد حثنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الإصلاح بين الجيران.

عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة. (صحيح أبي داود للألباني: ٤١١١).

الصلح بين الجيران من الأخلاق الحميدة التي حثنا

عليها الشرع الشريف، ولو أن كل مسلم في طبعه هذا الخلق السامي في حياته العملية لصلح المجتمع كله ولعاش في خير وبركة وسعادة. فينبغي لكل مسلم أن يخصص بعض وقته ليصلح بين جيرانه، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لله وحده. وليعلم الذي يقوم بالصلح بين جيرانه أنه قد يصيبه بعض الأذى؛ فليتحمل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى.

ستر عورات الجيران

المسلم مأمور بستر عيوب أصحاب المعاصي الذين لا يجهرون بها، وأولى الناس بستر عيوبهم هم الجيران؛ لأننا غالباً ندخل بيوتهم ونتعرف على أحوالهم وأسرارهم وعيوبهم، وقد أمرنا الشرع الشريف على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم بستر العيوب. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (صحيح مسلم: ٢٥٩٠)

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ: لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ. (صحيح أبي داود للألباني: ٤٠٨٣).

فليحذر هؤلاء الذين يخالفون هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعمدون تتبع عورات جيرانهم، ونشر عيوبهم بين الناس بغير حق، من عذاب الله يوم القيامة: قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (النور ١٩).

العفو عن الجيران

ينبغي للمسلم أن يتحلى بالعفو عمن أساء إليه من الجيران، وليعلم أن هذا العفو يرفع منزلته عند الله تعالى وعند جيرانه: قال الله تعالى: (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (آل عمران: ١٣٤)، وقال تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) (الشورى: ٤٠)، ولقد حثنا النبي صَلَّى الله عليْه وسَلَّم على العفو عن الذي أساء إلينا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ. (صحيح مسلم: ٢٥٨٨).

قضاء حوائج الجيران

أفضل حقوق الجيران قضاء حوائجهم عندما يحتاجون إلينا. فإن قضاء حوائج الجيرانِ هي التطبيق العملي لأخلاق الإسلام. فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. (صحيح البخاري: ٢٤٤٢، وصحيح مسلم: ٢٥٨٠)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لاَ يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ. (صحيح البخاري: ٢٤٦٣، وصحيح مسلم: ١٦٠٩).

التحذير من إيذاء الجيران

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ. قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ. (صحيح البخاري: ٦٠١٦).

وعن أبي هريرة قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلاَنَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: « لاَ خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». قَالُوا: وَفُلاَنَةُ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَدَّقُ بِأَثْوَارٍ، وَلاَ تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. (صحيح

الأدب المفرد للألباني، حديث٨٨).

وعَنْ أَبي هُرَيْرَة أن رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وسلَّم قَالَ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخر فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ. (صحيح البخاري: ٦٠١٨، وصحيح مسلم: ٧٥).

أفضل الجيران

عَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عَمْرِو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم: خَيْرُ الأَصْحَاب عنْدَ اللَّه خَيْرُهُمْ لصَاحبه، وَخَيْرُ الْجِيرَان عنْدَ اللَّه خَيْرُهُمْ لجَاره. (صحيح الترمذي للألباني حديث ١٥٨٦)

عَنْ نَافع بْن عَبْد الْحَارث، عَن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: منْ سَعَادَة الْمَرْء الْمُسْلم: الْمَسْكَنُ الْوَاسعُ، وَالْجَارُ الصَّالحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنيءُ. (صحيح الأدب المفرد للألباني حديث ٨٥).

الجيران الصالحون شهداء على الناس

عَنْ عَبْد اللَّه بنِ مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لرَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم: كَيْفَ لي أَنْ أَعْلَمَ إذا أَحْسَنْتُ وَاذا أَسَأْتُ؟ قَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: إذَا سَمعْتَ جيرَانَكَ يَقُولُونَ أَنْ قَدْ أَحْسَنْتَ؛ فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَاذا سَمعْتَهُمْ يَقُولُونَ قَدْ أَسَأْتَ؛ فَقَدْ أَسَأْتَ. (صحيح ابن ماجه للألباني حديث ٣٤٠٢).

الجار أحق بالشفعة

إذا أراد المسلم أن يبع أرضاً فيجب عليه أن يعرضها على جاره أولاً؛ لأن الجار أحق بالشراء من غيره بحُكم المجاورة. رَوى ابن ماجه عَنْ ابْن عَبَّاس عَن النَّبيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم قَالَ: مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَأَرَادَ بَيْعَهَا فَلْيَعْرِضْهَا عَلَى جَاره. (صحيح ابن ماجه للألباني حديث ٢٠٢٢).

الإحسان إلى الجيران غير المسلمين

كان جيران الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة أصحاب ديانات مختلفة؛ فكان منهم اليهود والمشركون، الذين يعبدون الأصنام، وعلى الرغم من ذلك كان يدعوهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يُجبرهم على الدخول في الإسلام، ولم يَعْتَد على حُرماتهم وأموالهم، وترك لهم حرية العبادة، مع أن المسلمين كانوا أصحاب الكلمة العليا في المدينة، ولم يَسْفك دماء أحد منهم بغير حق، وكذلك فعل أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم مع جيرانهم من غير المسلمين في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد موته في البلاد الجديدة التي فتحوها، فعاش غير المسلمين في دولة الإسلام في أمان شريعة الله تعالى، وشهد بهذه المنقبة العظيمة كل مؤرِّخ منصف من غير المسلمين.

روى أحمد عَنْ أَنَس بن مالك: أَنَّ غُلَامًا منَ الْيَهُود كَانَ يَخْدُمُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَمَرضَ فَأَتَاهُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَعُودُهُ وَهُوَ بالْمَوْت، فَدَعَاهُ إلَى الْإسْلَام، فَنَظَرَ الْغُلَامُ إلَى أَبيه وَهُوَ عنْدَ رَأْسه فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: أَطعْ أَبَا الْقَاسم، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ مَاتَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ منْ عنْده وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ للَّه الَّذي أَنْقَذَهُ بي منَ النَّار. (مسند أحمد ـ جـ٢١ ـ صـ٧٨).

وعَنْ مُجَاهد قَالَ: كُنْتُ عنْدَ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو وَغُلَامُهُ يَسْلَخُ شَاةً فَقَالَ: يَا غُلَامُ إذَا فَرَغْتَ فَابْدَأْ بجَارنَا الْيَهُوديّ، فَقَالَ رَجُلٌ منَ الْقَوْم: الْيَهُوديّ أَصْلَحَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: إنّي سَمعْتُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يوصي بالجار حتى خشينا أنه سَيُوَرّثُه. (صحيح الأدب المفرد للألباني حديث ٩٥).

وَآخرُ دَعْوَانَا أَن الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمينَ.

إهدار السياق القرآني مدخل كبير للخطأ في التفسير

إعداد أ. د محمد حامد الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعدُ: فإنّ لتفسير القرآن الكريم أصولاً ينبغي أن تُراعى، وضوابطَ يجدر أن يُلتزمَ بها، فإذا غابت هذه الأصول والضوابط عن التفسير حصلت فيه أخطاء كبيرة، وانحرافات خطيرة.

ومن بين هذه الأصول المهمة، والضوابط المستقرة: لزوم رعاية السياق القرآني؛ فإنه صمام أمان لمن رام تفسير القرآن، ومن أهدر السياق ضل فهمه، وزاغ قوله، وانحرف تأويله.

إن السياق يُطلَق ويُراد به سياق النظم والكلام وهو السياق النصي أو المقالي، ويراد به أيضًا سياق الموقف والمقام وهو السياق الحالي.

ومرادنا بالسياق المقالي: مجموع السياق (ما قبل الآيـة)، واللحاق (ما بعد الآيـة)، فعلى الناظر في القـرآن الكريم وخاصة المفسر أن يُـراعي ما سيق الكلام لأجله قبلُ، وبعدُ، فإن غفل عن هذا وتحاشاه لم يفهم الكلام على وجهه، بل ربما فهم عكس المقصود منه كمن اجتزأ قوله تعالى: «فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ » (سورة الماعون:٤) عن سياقه فزعم أن المصلين مُتوعَّدون بالويل؛ لإهداره النظر فيما بعد هذه الآيـة، وهو قوله تعالى: «الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » (سورة الماعون:٥-٧). فقال كما قال هذا الجاهل:

ما قال ربك ويلٌ للذين سكروا
ولكن قال ويلٌ للمصلينا

إن الغفلة عما سيقَ الكلام لأجله، واقتضاه المقام تُوقع صاحبها في الخلط، والخطل فيحسب المدح ذمًّا، والذم مدحًا.

قال عز الدين بن عبد السلام: "السياق مرشد إلى تبين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحًا، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذمًّا فما كان مدحًا بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذمًّا واستهزاء وتهكمًا بعرف الاستعمال مثاله: «ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ » (سورة الدخان:٤٩)؛ أي: الذليل المهان؛ لوقوع ذلك في سياق الذم وكذلك قول قوم شعيب «إِنَّكَ لَأَنتَ

الحليم الرشيد » (سورة هود٨٧): أي السفيه الجاهل لوقوعه في سياق الإنكار عليه" (الإمام في بيان أدلة الأحكام لعز الدين بن عبدالسلام ص١٥٩).

وبسبب إهدار دلالة السياق ضلت أقوام، وزلت أقدام، وتاهت أفهام.

ألا ترى أن أهل البدع يستدلون غالبًا على بدعهم بآيات قرآنية لكنهم لم يُمعنوا النظر في سياقها، ولا التأمل في مقامها وسبب نزولها -وهو السياق الحالي- فضلوا وانحرفوا.

ودونك هذه القصة الصحيحة التي تدلك على خطر إهدار السياق، كما توقفك على فطنة الصحب الكرام، وتحريهم هذا الأصل الكبير عند مزاولة التفسير.

أخرج مسلم في صحيحه بسنده إلى يزيد الفقير: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةٍ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللهُ يَقُولُ: «إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ» (سورة آل عمران:١٩٢) و«كُلَّمَا أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا» (سورة السجدة:٢٠)، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ ثم ساق الحديث في ذكر المقام المحمود الذي أوتيه النبي صلى الله عليه وسلم (جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٩/١ حديث١٩١).

وهناك رواية أخرى نسبها الحافظ ابن كثير لابن أبي حاتم عن يزيد الفقير قال: جلست إلى جابر بن عبد الله، وهو يُحدث، فحدث أن أناسًا يخرجون من النار -قال: وأنا يومئذ أنكر ذلك، فغضبت وقلت: ما أعجبُ من الناس، ولكن أعجب منكم يا أصحاب محمد! تزعمون أن الله يُخرج ناسًا من النار، والله يقول: «يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» (سورة المائدة:٣٧): فانتهرني أصحابه، وكان أحلمهم فقال: دعوا الرجل، إنما ذلك للكفار: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» حتى بلغ: «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ» أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى قد جمعته قال: أليس الله يقول: «وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا» (الإسراء:٧٩)..." (ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٦/٣)، والدر المنثور للسيوطي (٧٢/٣)).

فتأمل قول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: "إنما ذلك للكفار/ ثم قرأ الآية التي قبلها ليدل على أن السياق وارد في حق الكفار، ولا بد من مراعاته في فهم الآية وتفسيرها؛ ولذا جاء في رواية أخرى: "اتل أول الآية"، وهذا فهم عميق، وتصرف دقيق من جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وأخرج أحمد في مسنده (حديث ١٤٥٣٤)، وأورده الألباني في صحيح الأدب المفرد للبخاري ص٣٠٥ عن طلق بن حبيب، قال: كُنْتُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَكْذِيبًا بِالشَّفَاعَةِ، حَتَّى لَقِيتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ كُلَّ آيَةٍ ذَكَرَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا خُلُودُ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالَ: يَا طَلْقُ، أَتُرَاكَ أَقْرَأَ لِكِتَابِ اللهِ مِنِّي، وَأَعْلَمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَاتَّضَعْتُ لَهُ، فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ، بَلْ أَنْتَ أَقْرَأُ لِكِتَابِ اللهِ مِنِّي، وَأَعْلَمُ بِسُنَّتِهِ مِنِّي، قَالَ: فَإِنَّ الَّذِي قَرَأْتَ أَهْلُهَا هُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَلَكِنْ قَوْمٌ أَصَابُوا ذُنُوبًا، فَعُذِّبُوا بِهَا، ثُمَّ أُخْرِجُوا، صُمَّتَا -وَأَهْوَى بِيَدَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ- إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا دَخَلُوا وَنَحْنُ نَقْرَأُ كَمَا قَرَأْتَ".

وفي قول جابر رضي الله عنه: " فَإِنَّ الَّذِي قَرَأْتَ أَهْلُهَا هُمُ الْمُشْرِكُونَ" دليل على ما تقدم ذكره من

أهمية مراعاة السياق، والاعتناء بوجوه الخطاب.

وهكذا نرى أن من أكبر أسباب انحراف بعض الفرق كالخوارج انتزاعهم آيات من القرآن الكريم سيقت في الكافرين، وجعلها في المؤمنين.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن الخوارج: "إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" أخرجه البخاري تعليقا (١٦/٩). ووصله الطبري وقال ابن حجر في الفتح (٢٨٦/١٢): "وسنده صحيح".

وهكذا يظهر لنا خطر إهدار السياق القرآني، وأهمية مراعاته من خلال نظم القرآن ولفظه، وسباقه ولحاقه، ومقامه وخطابه، وأسباب نزوله إلى غير ذلك مما يندرج في مفهوم السياق القرآني.

وهذا مثال آخر يوضح تقدُّم الصحابة رضي الله عنهم في الفهم، وتيقظهم عند التفسير، وإعمالهم للسياق القرآني: فقد أخرج البخاري في صحيحه (حديث ٤٥٦٨)، ومسلم في صحيحه (٢٧٧٨) أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل: "لئن كان كل امرئ فرح بما أُوتي، وأحب أن يُحمد بما لم يفعل معذبًا، لنعذَّبن أجمعون، فقال ابن عباس: وما لكم ولهذه «إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره فأرَوْه أن قد استحمدوا إليه، بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم». ثم قرأ ابن عباس: «وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ »(آل عمران: ١٨٧) كذلك حتى قوله: « لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ » (آل عمران: ١٨٨)".

وفي هذه الرواية نجد أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما استدل على أن الآية الكريمة في شأن أهل الكتاب بالسياق المقالي وذلك بقراءته الآية السابقة لقوله تعالى: «لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا». وهي قوله تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق الَّذينَ أوتوا الْكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ». وهذا استدلال بالسباق وهو من السياق.

واستند أيضًا إلى سبب نزول الآية الكريمة، وهذا متعلق بالحال الذي نزلت فيه الآية وهو السياق الحالي.

وصفوة القول: أن تعلم -أيها الموفق- أن إهدار السياق سبب للضلال والانحراف عن مراد الرب سبحانه وتعالى منا.

وقد أهمل الحداثيون السياق على اختلاف صوره، وأهدروا دلالته فوقعوا في تأويلات بعيدة، وأتوا بآراء منحرفة في التفسير، وقد كتب بعض الباحثين -وهو الدكتور سعد بن مقبل الحريري- في هذا مؤلفًا أسماه "ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي: دراسة تحليلية نقدية".

ولعلك تسأل أيها الكريم: ما الأبواب التي يحتاج المفسر والناظر في القرآن الكريم إلى إعمال السياق فيها؟

والجواب: إن للسياق أثره في مختلف مجالات التفسير فله أثر بالغ في بيان معنى الكلمة، والترجيح بين المعاني المختلفة، وتحديد الوجه المراد من الأوجه المتعددة في الكلمة، ودفع الإشكال عما يرد في فهم بعض الآيات إلى غير ذلك.

وقد أثنى الزركشي على الراغب الأصفهاني في طريقته التي سلكها في كتابه: "المفردات في غريب القرآن"؛ فقال -وهو يتحدث عن كتب غريب القرآن: "ومن أحسنها: كتاب المفردات للراغب وهو يتصيد المعاني من السياق". (البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢٩١/١).

واني ذاكر لك في هذا المقام مثالين يبرزان أهمية السياق وأثره في تحديد المراد من الكلمة القرآنية، أو التركيب القرآني.

المثال الأول: كلمة "الكتاب" وردت في القرآن الكريم على وجوه عديدة بلغ بها بعض المفسرين كما ذكر ابن الجوزي في كتابه (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص٥٢٥)؛ أحد عشر وجهًا، والذي يُعين المراد في كل موضع هو السياق.

ألا ترى أن الكتاب في قوله تعالى: «يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا »(سورة مريم:١٢) هو التوراة، وفي قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: « قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا » (سورة مريم:٣٠) هو الإنجيل، وفي قوله تعالى: «وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا » (سورة مريم:١٦) هو القرآن الكريم مع أن المواضع الثلاثة في سورة واحدة، وانما ميّز بينها سياق كل موضع فيحيى عليه السلام مأمور بأخذ التوراة، والعمل بها كما هو حال كثير من بني إسرائيل.

قال ابن عطية في تفسيره (٤/٧): "والكتاب التوراة بلا اختلاف، لأنه وُلد قبل عيسى، ولم يكن الإنجيل موجودًا عند الناس".

وعيسى عليه السلام أُوتي الإنجيل فهو كتابه في الآية الكريمة كما جاء صريحًا في قوله تعالى: «وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ » (سورة المائدة:٤٦)، والخطاب في الموضع الثالث في قوله: "واذكر" للرسول صلى الله عليه وسلم، فيكون المراد أن يذكر ما في القرآن الكريم؛ لأنه الكتاب المنزل عليه.

المثال الثاني: قال تعالى: «وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ » (سورة البقرة: ٢٣١)، وقال تعالى في الآية التي بعدها: «وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ » (سورة البقرة:٢٣٢).

وقد فهم جمهور العلماء أن بلوغ الأجل المذكور في الآية الأولى يختلف عن المذكور في الآية الثانية: ففي الآية الأول خطاب للأزواج إذا شارفت أزواجهن على انقضاء عدتهن بعد الطلاق، ولما تنقض بعدُ أن يمسكوهن بمعروف، أو يسرحوهن بمعروف فقوله: "فبلغن أجلهن" أي: قاربن انقضاء العدة، ولكنها لما تنته بعد.

وأما الآية الثانية فهي خطاب لأولياء الأمور على قول الجمهور في حالة انقضاء عدة المطلقة، وبينونتها منه بينونة صغرى، ورغبة الزوج في العودة إليها بعقد ومهر جديدين ألا يعضلها وليها إذا تراضوا بينهم بالمعروف، ويدل عليه أيضًا سبب نزول الآية الكريمة، وهو أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فتركها حتى انقضت عدتها، فخطبها، فأبى معقل، فنزلت: «فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ » (البقرة: ٢٣٢) (صحيح البخاري حديث٤٥٢٩).

وعلى هذا فيكون معنى بلوغ الأجل انقضاء العدة حقيقة لا اقتراب انقضائها، وهكذا نرى أن قوله "فبلغن أجلهن" جاءت في آيتين متتابعتين على وجهين مختلفين، والذي حدد ذلك، ووضحه السياق القرآني ورحم الله الإمام الشافعي حين قال: "دل اختلاف الكلامين على افتراق البلوغين" (زاد المسير لابن الجوزي: ١/٢٠٥).

وحاصل الأمر أن مراعاة السياق القرآني لها أثر كبير في لزوم الأقوال السديدة والأوجه الرشيدة في تفسير القرآن الكريم، كما أن إهمال السياق مدخل خطير للوقوع في الزيغ والضلال، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وفقنا الله لما يحب ويرضى ورزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الإسلام ناسخ لما قبله من الأديان

قال الله تعالى: " يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ " (المائدة: ١٥).

من صفات أهل السنة

قال أبو عمرو ابن الصلاح: "والنصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتذكيرهم به، وتنبيههم في رفق ولطف، ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق. وحث الأغيار على ذلك.

(جامع العلوم والحكم).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"ما من صباح إلا وملكان يناديان: ويل للرجال من النساء! وويل للنساء من الرجال!". ضعيف جدًا، رواه عبد بن حميد في "المنتخب من المسند" (١٠٦/٢)، وابن عدي (١٢١/١).

(السلسلة الضعيفة).

من هدي الرسول ﷺ

عن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم النعمان بن قوقل فقال: يا رسول الله أرأيت إذا صليتُ المكتوبة، وحرَّمتُ الحرام وأحللتُ الحلال أأدخل الجنة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم».

(صحيح مسلم).

من فضائل الصحابة

عن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر" (سنن الترمذي).

من تفاسير السلف

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ"، فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأولو العلم. وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة.

(تفسير ابن كثير).

إعداد: علاء خضر

من درر العلماء

قال ابن القيم: "الجهل نوعان: عدم العلم بالحق النافع، وعدم العمل بموجبه ومقتضاه، فكلاهما جهل لغةً وعرفًا وشرعًا وحقيقة، قال تعالى: « إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ » (النساء: ١٧)، وقد أجمع الصحابة أن كل مَن عصى الله فهو جاهل. (مدارج السالكين- بتصرف).

من دلائل النبوة

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أُبعث.. إني لأعرفه الآن" (صحيح مسلم).

نصيحة ذهبية

عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: «من سرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا؛ فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن. فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى. (صحيح مسلم)

من دعاء النبي ﷺ

عن خولة بنت حكيم السلمية- رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك" (صحيح مسلم).

من أقوال السلف

قال الأوزاعي-رحمه الله تعالى-: "كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله" قلت: مع الإمام أو الحاكم. (أصول الاعتقاد).

من حكمة الشعر

قال الشاعر في أمر الدنيا:

إني رأيت عواقب الدنيا
فتركت ما أهوى لما أخشى
فكرت في الدنيا وعالمها
فإذا جميع أمورها تفنى

(الفوائد لابن القيم)

وعجلت إليك ربّ لترضى

إعداد أبو عبد الله رضا الخطيب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فالمحبّ يعجل إلى لقاء حبيبه ويشتاق إلى لقاء حبيبه ويأنس بلقاء حبيبه، وكلما اشتدّ حبُه اشتدّ شوقه، وكلما اشتدّ شوقه عجل إلى اللقاء.

إلَيْكَ وإلاّ لا تُشَدُّ الرَّكائبُ
وفيك وإلاّ فالمُؤمّل خائبُ
ومِنْكَ وإلاّ فالغرامُ مُضيّعٌ
وَعَنْكَ وإلاّ فالمُحدّثُ كاذبُ

لمّا واعدَ الله موسى-عليه السلام- أربعينَ ليلةً لميقاته، واختارَ موسى-عليه السلام- قومه سبعينَ رجلاً لميقات الله تعالى: تعجّل موسى-عليه السلام-، وسبقَ السّبعينَ من قومه وذهبَ إلى ميقات ربّه قبل الموعد؛ فسأله الله تعالى: «وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ» (طه: ٨٣- ٨٤).

فلأنّ موسى-عليه السلام- يحبُّ ربّه اشتاقَ إلى لقائه، فإذا كنتَ مكانَ موسى-عليه السلام- وواعدكَ الله لميقاته ماذا كنت فاعلاً؟

وقبلَ أن تتعجل في الجواب... اعلمْ أنّ الله قد واعدكَ للقائه بالفعل كلّ يوم خمسَ مرّات، بل وسخّرَ لكَ مناديًا يذكّرُك بميقاته، فكيفَ كان إقبالُك عليه؟

أيْنَ المُحبّونَ والمُحبُّ لَهُمْ
وأيْنَ مَنْ شتّتَ الهوى وَجمعْ
لَهُمْ عُيونٌ تَبْكي فَوَاعَجَبًا
لِجَفْنِ صَبٍّ إذا هَمَا ودَمعْ
بالبَابِ يَبْكُونَ والبُكاءُ إذا
كانَ خاليًا مِنَ النّفاقِ نَفعْ
تَشْفَعُ فيهِمْ دُمُوعُهُمْ وإذا
شُفّعَ دَمْعُ المُتيّمينَ شَفعْ

إنّ هذه الصّلاة التي يؤذّن لها في اليوم والليلة خمسَ مرّات ما هي إلا لقاء بينَك وبينَ ربّك، تكلّمُ فيها ربّك وتستمعُ إلى كلامه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمعْتُ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: قالَ الله تعالى: قَسَمْتُ الصّلاةَ بيْني وبيْنَ عَبْدي نصْفَيْن، ولعَبْدي ما سَأل، فإذا قالَ العَبْدُ: «الْحَمْدُ لله رَبّ العالَمِين»، قالَ الله تَعالى: حَمدَني عَبْدي، وإذا قالَ: «الرّحْمَنِ الرّحيم»، قال الله تَعالى: أثْنى عَلَيّ عَبْدي، وإذا قالَ: «مالك يوم الدّين»، قالَ: مَجّدَني عَبْدي، وقالَ مَرّةً فَوّضَ إلَيّ عَبْدي، فإذا قالَ: «إيّاكَ نَعْبُدُ وإيّاكَ نَسْتَعينُ» قالَ: هذا بَيْني وبيْنَ عَبْدي، ولعَبْدي ما سَأل، فإذا قالَ: «اهْدنا الصّراطَ المُسْتَقيمَ صراطَ الّذينَ أنْعَمْتَ عليهم غيرِ المَغْضوب عليهم ولا الضّالّينَ» قالَ: هذا لعَبْدي ولعَبْدي ما سَأل. (صحيح مسلم ٣٩٥).

وفي روايـة: قسمتُ الصّلاةَ بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي.

فلا يُتَصوّر أنّ مُحبًّا صادقَ المحبة يعي تلك المعاني من مناجاة ربّه وتكليمه ثمّ هو يتكاسل عن لقائه، أو يؤخره....

لأجـل تلك المعاني كانت الصّلاة عند النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في مكانة أخرى ليست مجرد عبادة يفعلها مكلّف بها، بل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وَجُعل قُرّةُ عَيْني في الصّلاةِ» (السلسلة الصحيحة: ٣٢٩١).

وكان سعيد بن المسيب-رحمه الله- يقول: ما أذّن المؤذّن منذ ثلاثينَ سنة إلا وأنا في المسجد. (حلية الأولياء ٢/١٦٢).

اللهم أعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

من أخبار الجماعة

الرئيس العام في فرع بلبيس

بدعوة كريمة من مجلس إدارة الجماعة بفرع بلبيس- شرقية- قام الرئيس العام فضيلة الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد يوم السبت ١٨ ربيع أول ١٤٤٦هـ- ٢١/٩/٢٠٢٤م، بزيارة لفرع بلبيس شرقية، التقى خلالها مجلس إدارة الفرع، والذي أطلعه على أنشطة الفرع المختلفة من خدمة بيوت الله ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم والحضانات وكفالات الأيتام والتواصل الجيد مع معظم طبقات المجتمع. كما قام الرئيس العام بزيارة مستشفى التوحيد، والتي تعتبر صرحًا طبيًا متميزًا.

وفي ختام زيارته أعرب الرئيس العام عن بالغ سعادته بالدور الإيجابي الذي يقوم به الفرع، وخاصة مستشفى التوحيد التابع للفرع، والذي هو صرح من صروح الخدمات الصحية المقدمة بأسعار رمزية، سائلاً الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه.

……

في إطار خطة مجلس إدارة المركز العام بالقاهرة للتواصل مع فروع الجمعية بالجمهورية، تم عقد الاجتماع الأول مع فروع محافظتي الدقهلية ودمياط يوم السبت ١١ ربيع أول ١٤٤٦هـ- ٧/٩/٢٠٢٤م بفرع الجماعة بالمنصورة.

برعاية كريمة من مجلس إدارة الفرع برئاسة الدكتور/ أيمن إبراهيم خليل، والذي افتتح اللقاء بكلمة ترحيب بالرئيس العام الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد، قائلاً: أشهد الله أن هذا الرجل لم يسعَ لرئاسة الجمعية، ولم يسعَ لمنصب الرئيس العام، وإنما قدر الله له ذلك في مرحلة شديدة الصعوبة، وعلينا جميعًا أن نؤازره ونشد من عضده، وأن ندعمه وندعو الله له أن يُجنبه الزلل، وأن يأخذ بناصيته لما يرضي الله تعالى عنه، وأن يُقدر له بطانة الخير الناصحة.

كما رحّب الدكتور بالسادة الحضور من المركز العام الشيخ/ صابر أبو العلا، نائب الرئيس العام، والشيخ/ أحمد مصباح مدير الفروع، والشيخ/ علاء صقر مدير شئون القرآن، والشيخ/ رجب عبد الفتاح، مدير العلاقات العامة، والشيخ/ أحمد عبد الهادي مسئول إدارة التكافل بالمركز العام.

كما رحّب الدكتور بالإخوة الحضور من محافظتي دمياط والدقهلية.

وفي كلمته رحّب الرئيس العام الشيخ أحمد يوسف بالإخوة الحضور جميعًا معربًا عن سعادته بحضور معظم فروع محافظتي الدقهلية ودمياط، شاكرًا دور فرع المنصورة في استضافة هذا اللقاء والإعداد الجيد له.

وخلال اللقاء تم عرض بعض أنشطة الفروع المتميزة في خدمة بيوت الله تعالى، وكفالات الأيتام، ومساعدة الأسر الفقيرة، ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم، والحضانات المتميزة، ومراكز غسيل الكلى، والمراكز الصحية، إلى غير ذلك من الخدمات التي تقوم بها الجمعية.

الحلقة ٢

البدعة: ضوابط وأحكام

إعداد د. محمد عبد العزيز

رئيس فرع العاشر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن العبودية التي أرادها الله من خلقه تعني: الانقياد للشرع اختيارًا بطاعة أوامره وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده؛ تقربًا إليه سبحانه، ورغبةً في ثوابه، وحذرًا من غضبه وعقابه، تذللاً وخضوعًا ومحبة. فالعبودية تجمع بين غاية الذل وغاية الحب.

وهذه العبودية التي يصرفها المكلف من الثقلين-الإنس والجن- للمعبود لا تكون مقبولة صحيحة إلا بتحقيق شرطين: الشرط الأول: الإخلاص، وهذا الشرط متعلق بالإرادة والقصد والنية، والمقصود به إفراد الحق سبحانه وتعالى بالقصد والطاعة. الشرط الآخر: المتابعة، وتعني: موافقة العمل للشرع الذي أمر الله تعالى ألا يُعبد إلا به.

فهذان الأصلان هما ميزان صحة الأعمال وقبولها في الشريعة، قال ابن قيم الجوزية في كتابه الروح (١/١٣٥): «فإن الله جعل الإخلاص والمتابعة سببًا لقبول الأعمال فإذا فُقد أحدهما لم تقبل الأعمال».

وعدم تحقيق الشرط الثاني، وهو متابعة السُّنَّة يُعرِّض العمل للبطلان، وهذا له صورتان:

الصورة الأولى: أن يترك المتابعة في العمل المشروع بترك ركن أو تفويت شرط.

ومن أمثلة ذلك: أن يترك قراءة الفاتحة في ركعة من الصلاة؛ فالصلاة تكون باطلة؛ لترك المتابعة بانتقاص هذا الركن من الصلاة، لحديث عبادة بن الصامت: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» (أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤)).

أو يصلي مُحدثًا؛ فالصلاة تكون باطلة لتفويت هذا الشرط وهو الطهارة من الحدثين، لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ» (أخرجه البخاري (١٣٥)، ومسلم (٢٢٥))

فهو في هذه الصورة تارك لمتابعة السُّنَّة،

فَرَدَّ عليه العمل لذلك.

الصورة الثانية: أن يتقرب لله تعالى بعبادة غير مشروعة أصلاً، أو بعبادة مشروعة في غير هذا المحل، وتلك هي البدعة، ومن أمثلة ذلك: ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «بينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه؟ فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مُرْه فلْيتكلم، ولْيستظل، ولْيقعد، ولْيتم صومه». (رواه البخاري (٦٧٠٤)).

فأبو إسرائيل- وهو رجل من بني عامر بن لؤي، من بطون قريش، ولا يشاركه أحد من الصحابة في كنيته- نذر فعل طاعة يتقرب بها إلى الله وهو نذر مطلق غير معلق على فعل شيء، والنذر فعل مشروع في الجملة، وهو عبادة قديمة يُتَقَرَّبُ بها إلى الله، والنذر إيجاب على النفس بما لم يأت بأصل الشرع، فالوفاء به واجب؛ قال الله تعالى: «ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» (الحج: ٢٩) فأمر بالوفاء بالنذر.

وعن عائشة-رضي الله عنها- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» (أخرجه البخاري (٦٦٩٦)).

وقد نذر أبو إسرائيل أربعة أمور:

الأمر الأول: نذر أن يقوم فلا يقعد، والقيام عبادة من العبادات، قال الله تعالى: «حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ» (البقرة: ٢٣٨)

وهذه العبادة مشروعة في الصلاة، وقد نقلها أبو إسرائيل عن محلها ذلك: فردَّها عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

الأمر الثاني: نذر أن يقف في الشمس فلا يستظل منها تقربًا إلى الله، والقيام في الشمس ليس طاعةً من الطاعات التي يُتقرب بها إلى الله؛ فردَّه عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

الأمر الثالث: أن يترك الكلام ويصمت، والسكوت عن المباح أو عن ذكر الله ليس بطاعة، وإن كان السكوت عن المباح من الكلام طاعة في الشرائع السابقة، كما قال الله تعالى لمريم عليها السلام: «فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا» (مريم: ٢٦)؛ لكنه منسوخ في شريعتنا.

الأمر الرابع: نذر أن يصوم، وهذه عبادة مشروعة بالإجماع.

فردَّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يكن مشروعًا بأصل الشرع وإن رآه أبو إسرائيل عبادة، وأمره أن يتم المشروع مما نذر وهو الصوم؛ قال العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢١٣/٢٣): «وإنما الطاعة ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم».

وقال ابن العربي المالكي في المسالك في شرح موطأ مالك (٣٨٦/٥ - ٣٨٧) في بيان عدم مشروعية الأمور الثالثة: وأما "الصيام": فإنه بقي مشروعًا لازمًا يلزمه».

وترك متابعة السُّنَّة بالابتداع في الشريعة هو مقصد هذه الكلمات؛ إذ إن أهم مقاصد وَضْع الشريعة: إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدًا لله اختيارًا، كما هو عبد لله اضطرارًا. (الموافقات، للشاطبي (٢٨٨/٢)).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن الابتداع في الدين أشد النهي حتى إنه كان لا يبدأ خُطبه إلا بالنهي عن فعل البدع والمحدثات.

فعن جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما- قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم. ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين- ويقرن بين

إصبعيه السبابة، والوسطى-، ويقول: أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» (أخرجه مسلم (٨٦٧)).

وعن عائشة-رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن أحدَث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو ردٌّ» (أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)).

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥/٣٠٣): «وقوله: "ردٌّ" معناه: مردود من إطلاق المصدر على اسم المفعول مثل: خلق ومخلوق، ونسخ ومنسوخ، وكأنه قال: فهو باطل غير معتد به».

وقد ذم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم البدع، فمن ذلك:

١- قول عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم» (رواه الطبراني (٨٧٧٠)، والدارمي (٢٠٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٥) وصححه الألباني.

٢- وقول عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: «كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة» (رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٠٥)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١٩١) وصححه الألباني.

وقد جاء عن أئمة الإسلام في سائر العصور الأمر بالاتباع، والنهي عن الابتداع بما إذا نقل لاحتمل مؤلفًا كبيرًا، لكني أنقل من ذلك طرفًا مما جاء عن الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة خاصة، فمن ذلك:

١- قول الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (٨٠-١٥٠هـ): «إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله، وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فاتركوا قولي» (إيقاظ همم أولي الأبصار (ص ٥٠)).

٢- وقول الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك المدني (٩٣-١٧٩هـ): «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم خان الرسالة؛ لأن الله يقول: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» (المائدة: ٣) فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا» (رواه الدارمي (١٤١)).

٣- وقول أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعيَ المطّلبيَ القرشيَ (١٥٠-٢٠٤هـ): «لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من هذه الأهواء» (مناقب الشافعي، للبيهقي (١/٤٥٢)).

٤- قول الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (١٦٤-٢٤١هـ): «أصول السُّنَّة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات في الدين» (أصول السُّنَّة (ص ١٤-١٦)).

تعريف البدعة:

والبدعة: طريقة في الدِّين مخترعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبّد لله تعالى. (الاعتصام، للشاطبي (١/٣٧)).

ويستدل على أن الأمر بدعة: بترك النبي صلى الله عليه وسلم مع قيام المقتضي للفعل، وانتفاء المانع.

قال الشاطبي في الموافقات-عند تقسيمه لتروك النبي صلى الله عليه وسلم- (٣/١٥٧): «الثاني: أن يسكت عنه وموجبه المقتضي له قائم، فلم يقرر فيه حكم عند نزول النازلة زائد على ما كان في ذلك الزمان؛ فهذا الضرب السكوت فيه كالنص على أن قصد الشارع ألا يزاد فيه ولا ينقص؛ لأنه لما كان هذا المعنى الموجب لشرع الحكم العملي موجودًا ثم لم يشرع الحكم دلالة عليه؛ كان ذلك صريحًا في أن الزائد على ما كان هنالك بدعة

زائدة، ومخالفة لما قصده».

ومن أمثلة ترك النبي صلى الله عليه وسلم الذي يستدل به على البدعية: تركه للأذان والإقامة في صلاة العيد، وصلاة الكسوف، وصلاة الاستسقاء مع أن الجمع فيها جمع كبير عظيم يقوم مع مثله المقتضي لجمع الناس للصلاة، وينتفي المانع من ذلك، ومع ذلك فقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم الأذان والإقامة في هذه المحافل فدل ذلك على أن ترك الأذان والإقامة في هذه المواضع سنة والفعل لهما بدعة من البدع.

معنى البدعة عند أئمة أهل العلم:

لأهل العلم في تعريف البدعة اتجاهان معروفان:

الاتجاه الأول: هو مذهب المُوسِّعين لمفهوم البدعة، فعندهم أن كل ما أحدث بعد عصر الرسالة ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم سواء أكان حسنًا أو قبيحًا فهو بدعة، وسواء شهد له أصل كلي أم لا، قال عز الدين بن عبد السلام في قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢٠٤/٢): «البدعة: فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وهؤلاء مضطرون لتقسيم البدعة إلى قسمين:

القسم الأول: بدعة حسنة يشهد لها الدليل الشرعي الكلي، كجمع الحديث في دواوين السُّنَّة من المسانيد والجوامع والسنن ونحوها، وتصنيف العلوم كعلم العقيدة والتفسير والفقه والحديث ونحوها، فكل ذلك لم يكن موجودًا في عصر النبوة وإن شهدت له أصول كلية.

القسم الثاني: بدعة مذمومة لا يشهد لها الدليل الشرعي الكلي، وقد قام المقتضي للفعل في عصر الرسالة، وانتفى المانع، وترك النبي صلى الله عليه وسلم الفعل مع ذلك.

فممن قال بنحو هذا الإمام الشافعي،

قال: البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة:

- فما وافق السُّنَّة فهو محمود.
- وما خالف السُّنَّة فهو مذموم. (فتح الباري ٢٥٧/٤).

وقال: "المحدثات من الأمور ضربان: ما أُحدث يخالف كتابًا أو سُنة أو أثرًا أو إجماعًا، فهذه بدعة وضلالة. وما أحدث من الخير لا خلاف لواحد من هذا، فهذه محدثة غير مذمومة. قد قال عمر في قيام رمضان: "نعمت البدعة هذه" (رواه البيهقي في مناقب الشافعي (٤٦٩/١)).

وقال ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام (٤٧/١): «والبدعة: كل ما قيل أو فعل مما ليس له أصل فيما نسب إليه صلى الله عليه وسلم وهو في الدين كل ما لم يأت في القرآن ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إلا أن منها: ما يؤجر عليه صاحبه ويعذر بما قصد إليه من الخير.

ومنها: ما يؤجر عليه صاحبه ويكون حسنًا، وهو ما كان أصله الإباحة، كما روي عن عمر رضي الله عنه نعمت البدعة هذه، وهو ما كان فعل خير جاء النص بعموم استحبابه وإن لم يقرر عمله في النص.

ومنها: ما يكون مذمومًا ولا يعذر صاحبه، وهو ما قامت به الحجة على فساده فتمادى عليه القائل به».

وللحديث صلة إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.

الرسول صلى الله عليه وسلم بين الميلاد البشري والميلاد النبوي

إعداد الشيخ/ محمد حامد الفقي

رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد؛

نعم، محمد صلى الله عليه وسلم بشر في خلقه؛ بشر في ولادته؛ بشر في طعامه وشرابه، بشر في محياه ومماته، ولكنه لا يستطيع عاقل -فضلاً عن مسلم- أن ينكر أو يجحد أنه أعلى أنواع البشرية في كل خصائصها ومزاياها؛ فروحه أطهر الأرواح، وعقله أكبر العقول، ونفسه أزكى النفوس، وفطرته أسلم الفطر، وتفكيره أوسع أفقًا من كل تفكير، وفطنته أنبه الفطن؛ ورجولته أكمل رجولة، وشجاعته أقوى شجاعة، وقوته أشد قوة وقلبه أبر القلوب وأرحمها.

وبالجملة فكماله البشرى لم يكن ولن يكون له فيه مساوٍ ولا ضريب ولا مثيل. وليس في ذلك مثقال خردلة من غلو. فقد أخبر الله أنه على خلق عظيم و«ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ» (الأنعام: ١٢٤)، وأنه صنع موسى على عين عنايته ورعايته، فأولى سيد الأنبياء وخاتم المرسلين. وحدثتنا سيرته صلى الله عليه وسلم عن خير من ذلك.

وُلِدَ محمد صلى الله عليه وسلم الولادة الثانية الروحية المعنوية، النبوية العلمية؛ بعد انقضاء أربعين سنة من عمره الشريف.

في ليلة القدر من ليالي شهر رمضان المعظم؛ بينما محمد صلى الله عليه وسلم في غار حراء يتحنَّث، والتحنث الابتعاد عن المآثم، وما يوجب العصيان، وقد فر من مكة ومجالسها ومجامعها؛ ومن أهل مكة ووثنيتهم وجاهليتهم، وأخلاقهم الفاسدة وسيرتهم المعوجة؛ حيث لا يجد عنده من العلم ما يستطيع أن يرشدهم به، ولا من الدين الحق ما يقدر أن يرجعهم به عن غيهم وكفرهم. فلم يجد لنفسه الحائرة، وقلبه المفعم بالآلام لحال مكة وسكانها وجيرانها الأقربين والأبعدين؛ إلا البعد عنهم حتى لا يرى ما يزيد في لهيب تلك الآلام في نفسه، ويضاعف الهموم والأحزان التي أقضت

مضجعه ومنعته لذة العيش في ذلك الوسط المشرك.

وهكذا النفوس الطيبة، والأرواح الطاهرة لا يهنأ عيشها، وتنعم بالحياة في الأوساط الفاسدة، فإما أن تبذل النصح وتعمل على الإصلاح، وإما أن تهجر ذلك الوسط وتفر منه، ولو إلى الكهوف والغيران؛ تنعم بوحدتها، وتأنس بالطبيعة الساكنة بما فيها من المخلوقات الصامتة ترى فيها آيات الله؛ وخضوع العبودية ما لا تراه من الإنسان الخصيم المبين لربه ونفسه.

في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر مضت على العالم في ظلمة الجهل الحالكة، وشقاء الوثنية الطاغية؛ تمخضت هذه الليلة عن ولادة النبوة؛ وتكشفت عن السراج المنير الذي ملأ الدنيا نورًا وهدى ورحمة.

في ليلة القدر هذه، بينما محمد صلى الله عليه وسلم في غار حراء، غارق في بحار التفكير في خلق السموات والأرض؛ وفي قومه والناس جميعًا وضلالهم، وفي نفسه وحيرتها أمام هذه الطرق الملتوية، والسبل المعوجة المظلمة التي يسلكها الناس إلى ربهم، وفطرته تأبى له أن يسلك شيئًا من مسالكهم ولا ترضى لهم تلك المسالك، وتحاول السمو إلى معرفة المسلك القويم والصراط المستقيم، إذ فجأه الحق، فقال: اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ، فإني أمي لم أتعلم القراءة ولا الكتابة؛ وأين من القراءة والكتابة ناشئ قضى كل أوقات الصلاح للتعليم في رعاية الغنم بين جبال مكة وفي صحراء جزيرة العرب التي يقل فيها النبت والمرعى؟ فأخذه الملك وضمّه إليه ضمة بلغت منه الجهد، وعصره عصرة كادت روحه تزهق معه. ثم خلّاه، فقال: اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ، لقد أسمعتك أني لست بقارئ؛ وأعلمتك أني لا أقرأ، فكيف تأمرني بعدها بالقراءة؟ فأخذه وضمّه الثانية أشد من الأولى. ثم خلّاه وقال له: اقرأ؛ فقال: ماذا أقرأ؟ علمني الذي أقرأه؛ فماذا تريدني أقرأ؟ فضمه الثالثة أشد من الأوليين. ثم خلاه وقال له: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» (العلق: ١- ٥). فأخذه الدهش لتلك الفجاءة مع تلك العصرات الشديدات البالغات، فارتجف فؤاده، ورعدت فرائصه؛ وأسرع الأوبة إلى السيدة الطاهرة البرّة الكريمة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وقد كانت تنتظر تلك الساعة بفارغ الصبر، وتعد الأيام والليالي لها، لما كانت ترى على زوجها الكريم من علامات النبوة؛ ولما كانت تسمع من ابن عمها ورقة من صفات النبي الخاتم الذي بشّر به عيسى ابن مريم، وكانت لا تراها متمثلة إلا في زوجها الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

جاءها وهو على تلك الحال من الدهشة والرجفة، وقال "زملوني زملوني"؛ وأخذ يستعرض مفاجأة جبريل بمفتاح الهداية، ومصباح النور الذي طالما تشوفت إليه نفسه التائهة، وقلبه الحائر، وأنه بذلك قد آن لنفسه أن تطمئن إلى هداية الله بذلك الوحي والقرآن له وللناس، وآن لقلبه أن يستريح من حيرته المضنية العنيفة إلى روح الله ونوره الذي يهدي به من يشاء إلى صراط مستقيم.

وأخذ يستعرض حال القلوب ما استحكم عليها من أغلال الجاهلية والهوى، والتقليد الأعمى للآباء والأجداد. وهل من الممكن لذلك المفتاح الذي وضعه الله في يده أن يطلق القلوب من هذه القيود ويفتح هذه الأغلاق؟ إن ذلك لمن أشق الأمور وأحوجها إلى أقوى الجهود. لذلك ضمّه جبريل إلى تلك الضمات إشارة إلى ما في ذلك الحمل الذي حمله الله إياه من ثقل «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» (المزمل: ٥)، وما سينال فيه من مجهود شاق؛

وجهاد عنيف.

ثم هدأت نفسه بعد ذلك الاستعراض، واطمأنت إلى قول خديجة رضي الله عنها "كلا لن يخزيك الله أبدًا". ووقر في نفسه يقين بأن الذي حمّله ذلك الحمل الثقيل هو القوي العزيز؛ وأنه لا بد ناصره ومعينه بقوته وتوفيقه.

كان ذلك مبدأ الولادة الثانية لمحمد فكان رسول الله؛ وخرج من ظلمات الحيرة التي طالما ضاق بها صدره، ووضع عن كاهله ما كاد ينقضه من هموم التفكير الطويل في طريق الوصول إلى الله، والتفكير المضني في إنقاذ أولئك المساكين الذين أشقتهم وثنيتهم وجاهليتهم.

ثم ما يزال الوحي يترى، والنبوة تنمو؛ ونور الهدي والفرقان تتسع آفاقه حتى تمت كلمة ربك صدقًا وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم. وأتم الله نوره على كره من الكافرين. وجعل كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى والله عزيز حكيم. وأنزل ختام ذلك وآية تمامه. وبلوغه الحد الذي لا مزيد عليه في الخير والهداية «ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا» (المائدة: ٣).

وإن هذه الولادة الثانية لأجلَ قدرًا وأعظم خطرًا في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفس المؤمنين والعقلاء من الولادة الأولى، بل إنه لا نسبة بينهما بحال. فلقد لبث بعد الولادة الأولى عمرًا طويلاً هو أربعون سنة محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي لا يتلو شيئًا من آيات الله ولا أن يُعلّم أحدًا. قال الله تعالى «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا» (الشورى: ٥٢)، وقال «وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ» (العنكبوت: ٤٨، ٤٩).

وقال «لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (يونس: ١٦)، وقال «قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (يونس: ١٦).

فلئن كان شيء من هاتين الولادتين جديرًا بالتذكير والإحياء، فهي الولادة النبوية لا الولادة البشرية. وأنه لمن أوجب الفروض إحياء هذه الذكرى في قلب المؤمن ونفسه وبيته ومتجره ومصنعه ونظام معيشته وإدارة شئونه العامة والخاصة.

وإن من أقوى أسباب سعادة الأمة أن تحيي هذه الذكرى في حكومتها ونظامها وإدارتها وقضائها؛ وملكها وجميع شؤونها الاقتصادية والسياسية والدولية. ولن يكون ذلك الإحياء بالاحتفال يومًا معينًا أو ليلة واحدة من السنة. لا، وإنما يكون ذلك في كل وقت ولحظة؛ وفي كل عمل وشأن، تبقى هذه الذكرى النبوية ألزم للإنسان من طعامه وشرابه؛ لا تبرح قلبه ولا تخرج من نفسه، لتكون هي المقوّمة لعمله، والمهذّبة لخُلقه، والهادية له في شؤونه كلها إلى الصراط المستقيم وطريق الرشاد القويم.

هذه الذكرى الروحية تتصل بالروح والأخلاق والآداب لا بالظواهر الفارغة من شموع تضاء وخيام تنصب، وطبول وزمور. فإن هذه الولادة الروحية تمقت أشد المقت تلك المظاهر الفارغة.

ولقد وُفّق الصحابة والتابعون والأئمة المهتدون وسلفنا الصالحون رضي الله عنهم إلى الانتفاع بهذه الذكرى المجيدة، وأحلوا من نفوسهم المحل الأرفع إيمانًا، وهداية، وطاعة لله ولرسوله وأخلاقًا كريمة، وشدة على الكفار وتراحمًا

بينهم، وركوعًا وسجودًا وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وعدلاً وانصافًا، وصدقًا وبرًا، فكانوا بهذه الذكرى خير أمة أخرجت للناس.

وأعرضوا كل الإعراض عن ذكرى الولادة البشرية، فلم يحتفلوا لها ولم يقيموا لها وزنًا؛ لأنهم يعلمون أن في شهر ربيع الأول كانت الولادة البشرية، وفيه كانت الوفاة البشرية؛ فأي الحادثتين يذكرون؟ أما الولادة الروحية فلم تنقطع ولم تقبر، ولن تقبر، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، ولا يزال فضلها وخيرها يعم أهل الأرض غضًا طريًا كأول شأنها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم البشرية.

والذكريات تُحفِّز المحتفل إلى تعرُّف خصائص ومزايا هذه الذكرى، وتحضّه على البحث والتنقيب على ما امتاز به المحتفل بذكراه واختص به عن غيره، وتدوين تلك المزايا ونشرها وبثها في الذكرى وفي الناس ليكون لهم منه قدوة نافعة، وأسوة حسنة، والمذكر يجتهد في أن يصور تلك الذكرى بأقصى ما يستطيع وأروع ما يقدر ليكون لها في النفوس الأثر الذي يريده.

فالصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم لشدة حرصهم على ذكرى الولادة النبوية الروحية يبذلون أقصى ما يستطيعون في حفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة أخلاقه النبوية، وآدابه الرسولية، وينشرونها في الناس، ويتحملون في سبيل نشرها في نواحي العالم أشق الجهود وأبعد الأسفار، وما زالوا كذلك يفعلون حتى ملؤوا الأرض بالهدى النبوي، وعمت رحمة الله في مشارق الأرض ومغاربها، بفضل أولئك الذين كانوا يعرفون محمدًا رسول الله، لا محمدًا البشر العربي، ويعرفون رسالته، لا جسمه ويعرفون نور هداية نبوية واشراق صحيفة ملية، لا نور عينيه، لا بياض وجهه وخديه.

ثم أتى من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وعميت بصائرهم عن ذكرى النبوة، فدسّ لهم أعداؤهم من اليهود والنصارى فتنة الاحتفال بذكرى البشرية وعظّموها في نفوسهم، وشغلوهم بها كل الانشغال حتى لتكاد تعتقد أنها عندهم كل شيء، فيتكلفون لها الأمور التي لا تعرف، ويتحدثون عنها، ويؤلفون فيها ما لا يرضاه مسلم عاقل عن نبيه صلى الله عليه وسلم فمن قصائد تشبيب وغزل، ومن وصف لحمرة خديه؛ وسواد عينيه، وطول أهدابه، ووصف لفمه.... ولكذا وكذا، وتفننوا ما اشتهت نفوسهم المنحطة في وصفه صلى الله عليه وسلم حتى ليظن السامع والقارئ أنهم إنما يصفون امرأة حسناء، لا نبيًا هو أفضل خلق الله وأشرف رسل الله، ولا إمامًا هو خير الأئمة شجاعة ومروءة وكرم أخلاق وسخاء نفس، ولا مجاهدًا في سبيل الدعوة إلى الله، كان أكمل الأمثلة الصالحة للمجاهدين الصابرين المحتسبين الذين لا يخطر لهم ببال حظ أنفسهم ولا شهوة هواهم، وإنما ملك نفسه حبّ الله وحب دين الله، وحب الخير للناس أن يكونوا محبين لله ومحبين لدين الله ومهتدين بهدي الله.

فما أسمج تلك القصص التي يسمونها "موالد"! وما أبعدها عن دين الله! وما أعظم شرها في تذكير الناس برسول الله! وما أشدها فتكًا بدين الله! وما أقبحها في تنفير الناس من محمد رسول الله الهادي إلى سواء السبيل! وتعشيقهم

لمحمد الحلو الجميل أحمر الخدود، وأسود العيون، وممشوق القد، ونحيل الخصر. بئسما صنعت وتصنع؛ وبئسما كانوا يصنعون!

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان في القلب إسلام وإيمان

قال ابن إسحاق: فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله ويحفظه، ويحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة وأحسنهم خُلقًا وأكرمهم حسبًا وأحسنهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهًا وتكرمًا حتى سماه قومه الأمين.

وذكر أبو نعيم في دلائل النبوة؛ وغيره من أهل السير والتاريخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال "حدثتني أم أيمن-حاضنة رسول الله صلى الله عليه سلم- قالت: كان لقريش صنم تحضره وتعظمه؛ وتنسك له النسائك-أي تذبح له الذبائح-ويصنعون له الطعام كما يصنع الناس اليوم في الموالد من ذبائح وأطعمة-، ويحلقون رءوسهم عنده، ويعكفون عنده يومًا إلى الليل. وذلك يوم في السنة. وكان أبو طالب يحضره مع قومه، وكان يكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد مع قومه، فيأبى رسول الله. حتى رأيت أبا طالب غضب عليه أسوأ الغضب فيقول: إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا؛ وجعلنا نقول: ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدًا، ولا تكثر لهم جمعًا قالت: فلم يزالوا به حتى ذهب؛ فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إلينا مرعوبًا. فقالت عماته: ما دهاك؟ قال: إني أخشى أن يكون بي لمم. فقلن: ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان. وفيك من خصال الخير ما فيك. فما الذي رأيت قال: إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي: وراءك يا محمد، لا تمسه. قالت أم أيمن: فما عاد إلى عيد لهم".

لقد كان هذا في طفولته صلى الله عليه وسلم. فأبى عليه ربه أن يحضر لهم عيدًا (مولدًا) من موالدهم، ولا أن يشاركهم في شيء من اجتماعاتهم التي كانوا يحيون بها ذكرى أوليائهم. وبغّض الله إلى قلبه أشد البغض تلك الأعياد والموالد الجاهلية التي صرفت الناس عن الله وعبادته إلى أولئك الموتى تعظمها من دون الله وتفزع إليها وتتمسح بما نصب على قبورها. كما بغّض الله إليه كل ما كانوا فيه من فسوق ومعاص، ورذائل ونقائص، حتى شرّفه الله وشرّف الأرض برسالته؛ فكان قد تمكن منه بغض تلك الأعياد والموالد، وانجلى له كل الانجلاء ما كان لها من أسوأ الأثر في إفساد القلوب والعقائد؛ وأنها ما تقام إلا لمحادة الله والكفر به، وما يقصد منها إلا جر المغانم لأولئك الدجالين الطغاة الذين استعبدوا الناس واستولوا على قلوبهم فأفسدوها باسم أولئك الموتى؛ وموالدهم وأعيادهم.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرب هذه الأعياد أشد قيام، وجاهد الدعاة إليها من سدنة أولئك الموتى أشد جهاد، وما زال حتى طهّر الأرض منها؛ ونكّس أعلامها وقشع عن القلوب غياهبها وظلماتها. وعرف الصحابة بنور العلم النبوي فساد ما كانوا فيه وضلاله وشقائه، فعاونوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبطاله أعظم المعاونة، ونصروه عليها وعلى المفتونين بها أعز نصر.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالي.

قصة مفتراة على صفات الله سبحانه وتعالى عما يصفون

إعداد **الشيخ / علي حشيش**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

نواصل تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ والكتاب والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- هذه القصة اشتهرت على ألسنة الخطباء والقُصاص، وانتشرت، ومما ساعد على ذلك: وجودها في بعض كتب السنة الأصلية.

ونذكر القارئ الكريم بأن كُتب السنة الأصلية: هي كتب السنة التي جمعها مؤلفوها وكتبوها عن طريق تلقيها من شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- هذا الحديث الذي جاء بهذه القصة فيه افتراءات على صفات الله كما سنبين من التخريج والتحقيق، فقد جاء في متنه: «إن مقدار كل يوم من أيامكم عند ربكم اثنتا عشرة ساعة؛ تعرض عليه أعمالكم بالأمس ثلاث ساعات من أول النهار فيطلع فيها على ما يكره فيغضب وأول من يعلم غضبه حملة العرش يجدونه يثقل عليهم».

قلت: انظر كيف سوَّلت لهؤلاء الوضاعين أنفسهم أن يقولوا: إن الله إذا اطلع من الأعمال على ما يكره يغضب وأول من يعلم بغضبه حمله العرش حيث يجدون العرش يثقل عليهم، كما نبين من الحديث الذي أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» والإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه «الرد على المريسي» من حديث الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود.

٣- ثم انظر في هذا الحديث المنسوب كذبًا وبهتانًا إلى الصحابي عبد الله بن مسعود من إفك هؤلاء الوضاعين ليقولون: «إن أول من يعلم بغضب الله حملة العرش».. ثم يضعون سببًا لأولية علم حملة العرش بغضب الله فمن إفكهم ليقولون: «لأن حملة العرش يجدون العرش يثقل عليهم».

٤- ثم يضعون سببًا لما يجدونه حملة العرش من ثقل العرش عليهم عندما يغضب الله فمن إفكهم ليقولون: «إن الله إذا غضب انتفخ على عرشه حتى يثقل على حملته».

قلت: هذا أيضًا من الحديث المنسوب كذبًا للصحابي الجليل عبد الله بن مسعود وبيّنه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٦٥/١).

٥- وإن تعجب فعجب من افتراء هؤلاء الوضاعين على رب العزة «سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا».

يقولون: «عندما يثقل العرش على حملته إذا انتفخ الله على عرشه من غضبه، فيسبحه حملة العرش، وسرادقات العرش، والملائكة المقربون، وسائر الملائكة ثم ينفخ جبريل في القرن، فلا يبقى شيء إلا سمع صوته، فيسبحون الرحمن ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن رحمة فتلك ست ساعات». اهـ.

معتقد أهل الحديث والسنة في المحافظة على صفات الله تعالى

«إن صفة الرحمة، وصفة الغضب، وصفة استواء الله على العرش: من الصفات الثابتة لله عز وجل، دل على ثبوتها الكتاب والسنة نؤمن بها من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل».

قلت: مما أوردناه نجد أن هذا الوضاع الكذاب ألحد في هذه الصفات تحريفًا وتكييفًا:

أ- فمن إفكه ليقول: «فتسبح حملة العرش، وسرادقات العرش، والملائكة المقربون وسائر الملائكة ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن رحمة». اهـ.

انظر: وهل كان الله مفرغًا من صفة الرحمة حتى يمتلئ رحمة «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا» (الإسراء: ٤٣).

ب- ومن إفكه يقول: «إن الله تُعرض عليه أعمالكم... ثلاث ساعات فيطلع منها على ما يكرهه فيغضب، وأول من يعلم غضبه حملة العرش يجدونه يثقل عليهم». وكما بينا آنفًا سبب ثقل العرش على حملة العرش، «إن الله إذا غضب انتفخ على العرش حتى يثقل على حملته». وإن تعجب فعجب قوله عقب هذه الجملة: فيسبحه حملة العرش، وسرادقات العرش، والملائكة المقربون، حتى يفرغوا هذا الانتفاخ؛ لأن الله من الغضب انتفخ على العرش حتى يثقل على حملة العرش ويستمر التسبيح ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن رحمة. «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» (الكهف: ٥).

قلت: انظر إلى ما وصل إليه الإلحاد في صفة «الغضب» وصفة «الاستواء على العرش»، وهما كما بينا آنفًا أنهما من الصفات الثابتة لله عز وجل.

فمن إلحادهم وإفكهم ليقولون: «إن الله إذا غضب انتفخ» لم ينتهوا عند إلحادهم في صفة «الغضب» بل امتدوا إلى الإلحاد في صفة «الاستواء على العرش». وربطوا في إلحادهم بينها وبين صفة «الغضب». فمن إفكهم ليقولون: «وأول من يعلم غضبه حملة العرش يجدونه يثقل عليهم».

انظر إلى التحريف والإلحاد والتكييف يتصور هذا الوضاع الضال أن الله على عرشه جالس على العرش مستقر عليه وكأن العرش يحمله، وحملة العرش يحملون العرش، فعندما يغضب الله يمتلئ فيثقل العرش فيجد حملة العرش ثقله عليهم، هذا معتقدهم «حملة العرش يحملون العرش فوقهم، والعرش يحمل الله فوقه؛ فإذا تأثر الله بالغضب أثّر في حملة عرشه».

ثانيا: الرد على هذا الإلحاد الواقع بالمتن:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٦٢/٥، ٢٦٣):

«من اعتقد أن الله يفتقر إلى شيء يحمله -إلى العرش أو غيره- فهو مبتدع ضالّ... فالله غني عن العرش وعن كل ما سواه، لا يفتقر إلى شيء من المخلوقات، بل هو مع استوائه على عرشه يحمل العرش وحملة العرش بقدرته، بل ولا يمثل استواء الله باستواء المخلوقين، بل يُثبت لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وينفي عنه مماثلة المخلوقات، ويعلم أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا صفاته، ولا أفعاله، فهذا مصيب في اعتقاده موافق لسلف الأمة وأئمتها، فإن مذهبهم أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل». اهـ.

قلت: هذا رد على الإلحاد في أسماء الله وصفاته في ست ساعات في كل يوم من أيامنا، والذي مقداره عند ربنا اثنتا عشرة ساعة، كما هو مبين في المتن، الذي يقتضي تحقيقه صفحات؛ لأنه يتناول

الإسناد والاعتقاد ولكن اختصرناه على قدر المساحة التي هي للنشر متاحة.

ثالثًا: التخريج:

١- أخرجه الحافظ الطبراني المتوفى سنة (٣٦٠هـ) في «المعجم الكبير» (٩/ ٢٠٠) ح (٨٨٨٦) قال: حدثنا بشر بن موسى، حدثنا يحيى بن إسحاق السليجيني، حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عبد الله عن عبد الله بن مكرز أو عبيد الله بن مكرز، قال: قال عبد الله بن مسعود له:...

٢- وأخرجه الإمام الحافظ عثمان بن سعيد المتوفى (٢٨٠هـ) في كتابه «الرد على بشر المريسي» ح(١٠٨) قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن أبي عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله الفهري أن ابن مسعود قال... الحديث.

رابعًا: التحقيق:

هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة موضوع كذب مُختلق مصنوع، وعلامات الوضع ظاهرة عليه كما بينا آنفًا من الحاد في صفات الله، وإن تعجب فعجب أن ينفخ جبريل في القرن كل يوم عندما يثقل العرش على حملة العرش من غضب الله، فيسبح كل شيء حتى يمتلئ الرحمن رحمة.

وهل جبريل صاحب الصور لينفخ يوميًا في القرن؟! هذا هو النقد الداخلي وهو نقد «المتن»، وفيه رد على ادعاء المستشرقين أن المحدثين لم يعتنوا بالنقد الداخلي، فمن مزاعم المستشرق «شاخت» ما ادعاه -جهلاً وبهتانًا- بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي وهو نقد المتن. اهـ.

قلت: فهذا هو النقد الداخلي «نقد المتن» في الحديث الذي جاءت به هذه القصة، وإنه نقد -بفضل الله وحده- لم يصل إليه هذا المستشرق وأمثاله لأنه بُني على أصول اعتقاد أهل الحديث والسنة في الأسماء والصفات كما بينا آنفًا في نقدنا الداخلي «نقد المتن».

النقد الخارجي «نقد الإسناد»:

فهذا إسناد تالف علته أبو عبد السلام، ولقد دلّسوه تدليس الشيوخ حتى لا يُعرف:

١- لذلك أخرج هذا الحديث الإمام الحافظ البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣/ ٤٥٦) عن حماد بن سلمة عن أبي عبد السلام عن أيوب بن عبد الله، عن ابن مسعود به. وقال البيهقي: «راويه لا يُعرف». اهـ.

٢- وذكر هذا الحديث الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٨٥) طبعة: دار الجيل بيروت- وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه: أبو عبد السلام قال أبو حاتم: «مجهول»، وعبد الله بن مكرز أو عبيد الله على الشك لم أر من ذكره. اهـ.

٣- قلت: نقل الهيثمي قول أبي حاتم في الراوي أبي عبد السلام: «مجهول» من كتاب «الجرح والتعديل» (٤/ ٢/ ٤٠٦) لابنه عبد الرحمن قال: سمعت أبي يقول: «أبو عبد السلام مجهول». اهـ.

٤- قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٧/ ٧٨/ ٧٤٧): «أبو عبد السلام لا يُعرف، وقيل اسمه الزبير، وقيل: اسمه أيوب». اهـ.

قلت: وهو الذي قال عنه أبو حاتم «مجهول».

٥- وقال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٧/ ٧٩/ ٧٤٩): «أبو عبد السلام: هو أيوب بن عبد السلام». اهـ.

٦- الترجيح: «أبو عبد السلام هو أيوب بن عبد السلام».

٧- أسباب الترجيح: فصّل القول الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٦٥) بأن أبا عبد السلام راوي الحديث «غضب الله وعلاقته بثقل العرش على حملة العرش» هو أيوب بن عبد السلام أبو عبد السلام.

قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٦٥) قال: «أيوب بن عبد السلام أبو عبد السلام شيخ كأنه كان زنديقًا روى عن أبي بكرة عن ابن مسعود»: «إن الله تبارك وتعالى إذا غضب انتفخ على العرش حتى يثقل على حملته».

فالسند تالف ومضطرب والمتن موضوع والحاد في الأسماء والصفات.

هذا ما وفقني الله في النقد الداخلي «نقد المتن»، والنقد الخارجي «نقد الإسناد» وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد: الشيخ/ علي حشيش

«أكرموا عمتكم النخلة فإنها خُلقت من الطين الذي خلق منه آدم».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (١/٢٣) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «ع، عد عن علي».

قلت: «ع»: ترمز إلى «أبي يعلى في مسنده».

و«عد»: ترمز إلى «ابن عدي في الكامل».

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين أنه حديث «موضوع».

فائدة: نذكر القارئ الكريم بحدّ «الحديث الموضوع»: في عبارة جامعة مانعة قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» النوع (٢١):

«الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو شرّ الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته في أيّ معنًى كان؛ سواء الأحكام والقصص، والترغيب وغيرها، إلا مقرونًا ببيان وضعه».

أولا: التخريج:

١- أخرج هذا الحديث الإمام الحافظ أبو يعلى في «مسنده» (٣٥٣/١) ح(٤٥٥) قال: (حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا مسرور بن سعيد التميمي، حدثنا عبد الرحمن الأوزاعي، عن عروة بن رويم، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكرموا عمتكم النخلة...» الحديث).

٢- وأخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٤٣١/٦) (١٩١٠/٢٨٩) قال: (حدثنا محمد بن سعيد بن مهران الأيلي، حدثنا سنان، حدثنا مسرور بن سعيد التميمي به).

ثانيا: التحقيق:

١- قال الإمام ابن عدي في «الكامل» (٤٣١/٦): «مسرور بن سعيد التميمي منكر الحديث». اهـ.

ثم أخرج حديث أكرموا عمتكم النخلة، ثم قال معقبًا: «هذا حديث عن الأوزاعي منكر، وعروة بن رويم عن علي ليس بالمتصل، ومسرور بن سعيد غير معروف لم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث». اهـ.

قلت: هكذا بين الإمام ابن عدي علل هذا الحديث: من النكارة، والانقطاع، والجهالة، والتي بها يصبح الحديث واهيًا لا يصح.

٢- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٤٤/٣): «مسرور بن سعيد التميمي يروي عن الأوزاعي المناكير التي لا يجوز الاحتجاج بمن يرويها». اهـ.

٣- قال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٨٤/١): «هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحديث علي تفرد به مسرور بن سعيد، وقال ابن عدي منكر الحديث، ثم نقل قول ابن حبان وأقره».

الألفاظ الموهمة في باب الصفات.. بين الإجمال والاستفصال (٤)

الموهم ليست نصوص الصفات على ما يدعي الأشعرية.. وإنما هي الألفاظ التي ابتدعوها - تبعًا للمعتزلة - من نحو (الجسم) و(الحيز) وما شابه

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن خلال ما مرّ بنا وما أفاده الأشعري في رسالة لأهل الثغر ص٢١٨ فيما سبق أن نقلناه عنه من "أنه لا يجب إذا أثبتنا الصفات له سبحانه على ما دلت عليه العقول واللغة والقرآن والإجماع؛ أن تكون محدثة، لأنه تعالى لم يزل موصوفًا بها، ولا يجب أن تكون أعراضًا لأنه عز وجل لم يكن جسمًا، وإنما توجد الأعراض في الأجسام، ويُدلُّ بأعراضها فيها وتعاقبها عليها، على حدثها.. كما لا يجب أن تكون نفس الباري جسمًا أو جوهرًا أو محدودًا أو غير ذلك مما لا يجوز عليه من صفاتنا؛ لمفارقته لنا".

يتبين لنا أن لا صحة لما عنون له البيجوري في شرحه على جوهرة اللقاني بقوله: "النصوص الموهمة للمشابهة والمذاهب في تأويلها" وقد أردف بعده يقول: "والحاصل أنه إذا ورد في القرآن أو السنة ما يُشعر بإثبات الجسمية، اتفق أهل الحق وغيرهم ما عدا (المجسمة) - ويقصد بهم مثبتة أهل الحق من الصحابة وسائر أهل السنة وسلف الأمة - على تأويل ذلك لوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه ما ذكر بحسب ظاهره، فمما يوهم الجسمية قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ (الفجر/٢٢) وحديث الصحيحين: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير؛ ويقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه؛ من يستغفرني فأغفر له)، فالسلف يقولون: مجيء ونزول لا نعلمهما، والخلف يقولون: المراد: (وجاء عذاب ربك؛ أو أمر ربك الشامل للعذاب)، والمراد: "ينزل ملك ربنا فيقول عن الله".. الحديث. وطفق بعدها يهرف بما لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا حتى أثارة من علم.

١ - لا دليل على ما جنح إليه الخلف من تأويل صفة (المجيء) وعدّه من مجاز الحذف:

ولدحض ما جنح إليه الأشعرية ولبيان وجوب حمل المجيء في حقه تعالى على الحقيقة؛ ومدى مخالفة الخلف لأصول العقيدة وقواعد البلاغة

في صرف تلك الصفة وأنها على تقدير محذوف؛ لعدم وجود قرائن شرعية أو لغوية أو حتى عقلية تدل على صدق ما جنح إليه، تجدر الإشارة إلى أن القول بصرف مجيئه تعالى إلى مجيء أمره، يكتنفه البطلان من وجوه عدة:

أولها: أنه إضمارٌ لما لم يدل اللفظ عليه بمطابقة ولا تضمن ولا لزوم، وادعاءً لحذف ما لا دليل عليه البتة، وإذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين المحذوف كان تعيينه قولاً على المتكلم سبحانه بلا علم، وإخبارًا عنه بإرادة ما لم يقُم دليلٌ على إرادته ومن ثم عُدَّ ذلك كذبًا عليه، وعلى هذا اتفقت قواعد اللغة وأدلة الشرع؛ واجتمعتا على أن الكلام إذا تجرد عن القرائن؛ فإن معناه يكون هو المراد عند التجرد.

ثانيها: أن القول بالحذف هكذا بدون دليل، يرفع الوثوق عن الخطاب ويوقع التحريف ويؤذن لكل مبطل بادعاء ما يصحح بطلانه، فيُقدِّر الملحدُ مثلاً في قوله تعالى: (وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ) (الحج/٧)، مضافًا؛ تقديره: أرواح مَن في القبور، وفي قوله تعالى: (يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ) (الحج/٦ والشورى/٩)؛ أي أرواح الموتى، وأمثال ذلك مما يمكن أن يُقدَّر فيه مضافٍ يُخرج الكلام عن ظاهره، الأمرُ الذي يؤكد أنه لا يُشرع للمتكلم أن يتكلم بما يريد به خلاف ظاهره إلا مع قرينة تُبيِّن المراد، فلا يسوغ لأحد أن يقول: (جاءني زيد) وهو يريد: (ابن زيد)؛ أو يقول (جاء الأمير) على معنى: (جاء خادم الأمير) أو نحو ذلك من التقديرات دون قرينة تصرفه عن معناه، وإلا فُهم منه غير مراد المتكلم وكان ضربًا من الكذب.

وهكذا هو الحال في جميع آي وأحاديث الصفات المتعلقة بمجيئه تعالى والتي أساغوا فيها تقدير مضاف من نحو قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ) (البقرة/٢١٠) وقوله: (وَجَآءَ رَبُّكَ) (الفجر/٢٢)... والحق في مثل هذا - على حد ما ذكر محيي السنة الإمام البغوي صاحب (معالم التنزيل) و(شرح السنة) فيما نقله عنه الحافظ الذهبي في العلو ص١٩١ وهو بمختصره ص٢٨٠: - "أن يؤمن الإنسان بظاهرها ويَكل علم كنهها إلى الله، ويعتقد أنه تعالى منزَّهٌ عن سمات الحدوث، على ما كان عليه أئمة السلف وعلماء السنة"، وإلا فهل كان الله عاجزًا عن أن يقول: (إلا أن يأتيهم أمر الله أو عذابه)؛ أو يقول: (وجاء أمر ربك)؟ وهل مَن تأوَّل المجيء والإتيان، بمجيء أمره كما فعل الجهمية ومن لفَّ لفَّهم، لما فهموا من هذه المعاني ما يتعلق منها بالمخلوق فصيَّرهم ذلك إلى هذه التأويلات الباطلة، كانوا في ذلك أعلم من قتادة وابن جريج وابن مسعود الذين نَقَل عنهم ابن جرير في تفسيره والسيوطي في (الدر المنثور) مجيء الله يوم القيامة حقيقة على النحو اللائق به؟

ثالثها: أن صحة التركيب واستقامة اللفظ لا تتوقف على هذا المحذوف، بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى؛ جاءٍ على الأصل بدون إضمار، وعليه فإضمار مجيئه تعالى بمجيء أمره أو عذابه والحال هكذا؛ مخالفة للأصل؛ ومن ثم لا يجوز.

رابعها: أن في سياق آية الفجر ما يبطل هذا التقدير؛ حيث عطف مجيء الملَك على مجيئه تعالى ودلَّت الواو العاطفة على تغاير المجيئين، وأن مجيء كلٍّ حقيقةٌ وبحسَبه، بل مجيء الرب سبحانه أولى أن يحمل على الحقيقة من مجيء الملَك؛ للنص على مجيئه تعالى بنفسه ومجيءِ ما صح إضافة المجيء إليه عن طريق العطف الدال على المغايرة، وذلك قوله عز من قائل: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ) (الأنعام ١٥٨)، ففرَّق سبحانه بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آياته، وقسَّم ونوَّع؛ ولأجل تلك التفرقة وهذا التقسيم امتنع أن يكون القسمان واحدًا.

وشيء آخر وهو: أنه تعالى لما ذكر إتيانه؛ ربما توهم متوهم أن المراد إتيان بعض آياته، فأزال هذا الوهم ورفعه بقوله: (أو يأتيَ بعض آيات ربك)، ولهذا منع المحققون من أهل العلم حمل مثل هذا اللفظ على مجازه، وقالوا: إن هذا يأباه التقسيم والترديد والاطراد، ويدل على إبائه من غير ما ذكرنا: ركاكة التعبير لو صُرح بهذا المحذوف المُقدَّر فقيل فيه مثلاً: (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي مَلك ربك أو أمْرُ ربك أو يأتي بعض آيات ربك)، وادعاء صدق واستقامة ما يكون النطق به مستهجنا، باطل.

خامسها: أن اطراد نسبة المجيء والإتيان إليه سبحانه دليل الحقيقة، إذ من المعلوم أن من علامات الحقيقة: الاطراد، فأنى لهذا المُطَّرِد أن يُحمل اللفظ فيه على المجاز وبخاصة مع عدم وجود ما يدل على ادعائه؟

سادسها: يوضح ما سبق، أن من المعقول في الأذهان والمركوز في الفطر وعند كافة العقلاء والمصرّح به لدى أئمة العربية، أن الشيء إنما يجوز حذفه: إذا كان الموضع الذي ادُّعي فيه حذفه قد استُعمل فيه ثبوته أكثر من حذفه، حتى إذا ما جاء ذلك محذوفًا في موضع، عُلم بكثرة ذكره في نظائره أنه قد أزيل في هذا الموضع فحُمل عليه.

سابعها: أن لو كان مجيئُه تعالى وإتيانه مُحالاً؛ لجُعل ذلك في مصاف نسبة الأكل والشرب والنوم والغفلة إليه سبحانه، فمتى عُهد إطلاق الأكل والشرب والنوم والغفلة عليه جل جلاله حتى تكون نسبتها إليه مجازية كنسبة المجيء والإتيان؛ إذا كان كل ما ذكرنا عند النافين سواءً ومحالاً؟!

ثامنها: أن المجاز لو كان ثابتًا في مثل هذا، فإنما يصار إليه عند تعذر الحمل على الحقيقة؛ إذ هو الأصل، فما الذي أحال حمل مجيئه سبحانه على حقيقته من عقل أو نقل أو إجماع حتى يصار فيه إلى المجاز؟، بل كيف تأتى الإحالة وقد سلم للمثبتين نسبة المجيء إليه تعالى بأدلة العقل والنقل واتفاق الصحابة وإجماع من تلاهم من القرون الخيرية على ما سيأتي بيانه؟

تاسعها: أن هؤلاء الخلف الذين ادَّعوا حذف المضاف وإضماره؛ يلزمهم فيه ما لزمهم فيما أنكروه، فإنهم إذا قدَّروا (وجاء أمْر ربك)، و(يأتي أمر ربك) ونحو ذلك؛ فأمْرُه هو كلامه الذي هو صفته وهو حقيقة، فكيف تجيء الصفة وتأتي دون موصوفها؟ كذا أفاده محمد بن الموصلي في استعجال الصواعق ص٩٣، ٣٤٣، ٣٦٦.

عاشرها: أن في إنكار ونفي نحو المجيء والإتيان ونحو ذلك مما قالوا فيه بالتأويل والمجاز بالحذف، الحاد في أسمائه وصفاته لكون هذه الصفات كلها من أنواع أفعاله، وأفعاله كصفاته قائمة به، فكيف يتأتى نفيها عنه وهو الفعّال لما يريد؟؛ بل كيف يتأتى نفيها ولولاها لم يكن فعالاً ولا موصوفًا بصفات الكمال؟!

الجواب واضح، ولكن الأوهام الباطلة والعقول الفاسدة لمّا فهمت من نزول الرب ومجيئه وإتيانه واستوائه ما فهمته من فعل المخلوق؛ نفتها عنه، فوقعت بذلك في محذورين: أولهما التشبيه؛ وثانيهما التعطيل.

٢- لا دليل على ما جنحوا إليه
من تأويل (النزول) أيضا وعدّه من مجاز الحذف:

على أن ما قيل من أدلة امتناع تقدير الحذف في صفة مجيئه تعالى، يقال مثله في امتناع تقدير الحذف في صفة نزوله، ويضاف إليه أن قوله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول... الحديث)، ورد في نحو من ثلاثين حديثًا عن ثمانية وعشرين نفسًا من الصحابة، وقد جاء التصريح فيها جميعًا بإضافة النزول إلى الرب تعالى؛ ولم يجئ موضع واحد

بقوله: (ينزل ملك ربنا) أو (ثواب ربنا) حتى يحمل ما خرج عن نظائره عليه.

وفضلاً عن قرينة إضافة النزول إلى الله وما يفيده ذلك من مغايرته للنزول المضاف لغيره؛ وأن نزول كلٍ بحسبه على ما سبق تقريره في المجيء، فقد جاء في سياق بعض روايات حديث النزول السالف الذكر عن رب العزة: (أنا الملكُ) كذا أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة ورواها مسلم عنه وعن أبي سعيد.. وهو صريح في حسم الخلاف، ونظيره قوله: (يستغفرني) (يدعوني)، وقوله: (فأغفر له) وقوله: (من ذا الذي يسألني فأعطيه.. إلخ؟)، وقوله في بعضها: (فيكون كذلك حتى يطلع الفجر ثم يعلو على كرسيه)... إلى غير ذلك مما يستحيل معه صرف اللفظ عن ظاهره وجعْل المعنى: (يستغفر أمري أو رحمتي أو يدعو أيهما)، أو (فتقول الرحمة أو المَلك: هل من تائب فأتوب عليه، هل من داع فأستجيب له.. إلخ)؟ (ينظر السابق ص٥٢).

٣- كما لا صحة لنسبة التفويض للسلف:

على أن القول بتفويض معاني الصفات مع اعتقاد حقيقتها؛ الذي جعله الأشعرية قرينًا أو بديلاً عن القول بالتأويل، ونسبوه زورًا وبهتانًا إلى السلف، يعكّر عليه الخروج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأجمع عليه سلف الأمة الذين حاشاهم أن يقولوا بما يُفهم منه التناقض؟

وانما يتلخص ما كان عليه الراسخون من الصحابة وتابعيهم -فيما اتفق عليه العقل والنقل وخلا من التناقض الذي هوى إليه عموم الخلف واتهموا به السلف- في: قصر التفويض على الكُنْه والكيف فقط؛ دون الوقوف على دلالات الألفاظ ومعانيها، وفي حمل هذه الدلالات على ظاهرها وحقيقتها دون تأويل أو تمثيل أو تفويض ولا صرفٍ لها إلى المجاز.

"ومن الأدلة على بطلان القول بتعميم التفويض ليشمل ما تحمله الصفات من معانٍ، وعلى أن ذلك مناقض لما كان عليه النبي وصحابته-: أن من تأمل خطبه عليه السلام وخطبَهم؛ وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكْر صفات الرب جل جلاله وأصول الإيمان بالكلية، فقد كانوا يذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه؛ ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم" إ.هـ من كلام ابن القيم في زاد المعاد ١١٦/١. هكذا كان معتقده صلى الله عليه وسلم الذي فهمه عنه الصحابة وتابعوهم بإحسان، وهو من قبل هذا؛ معتقد جميع الأنبياء والمرسلين الذين في شأنهم يقول رحمه الله في الكافية الشافية:

هذا ومن توحيدهم إثباتُ أو
صاف الكمال لربنا الرحمن.

"أي: من توحيد الأنبياء والمرسلين وأتّباعهم: أن يعترفوا ويُثبتوا لله كل صفة وردت في الكتب الإلهية وثبتت في النصوص النبوية، يتعرّفون معناها ويعقلونه بقلوبهم، ويتعبدون لله تعالى بعلمها واعتقادها ويعملون بما يقتضيه ذلك الوصف من الأحوال القلبية والمعارف الربانية، فأوصاف العظمة والكبرياء والمجد والجلال تملأ قلوبهم هيبة وتعظيمًا له تعالى وتقديسًا، وأوصاف العز والقدرة والجبروت تخضع لها تلك القلوب وتذل وتنكسر بين يدي ربها، وأوصاف الرحمة والبر والجود والكرم تملؤها رغبة وطمعًا فيه وفي فضله وإحسانه وامتنانه، وأوصاف العلم والإحاطة توجب للعبد مراقبة ربه في جميع حركاته وسكناته وللحديث بقية إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

الرسول صلى الله عليه وسلم واتباع سُنّته

إعداد الشيخ/ إبراهيم حافظ رزق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الله عز وجل لما أراد أن يختتم رسالاته إلى أهل الأرض اختار نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم ليرسله إلى الناس كافة وأنزل عليه القرآن مهيمنًا على ما سبقه من الكتب، فكان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وكان القرآن آخر الكتب، وقد عهد الله إلى رسوله عليه الصلاة والسلام مهمة تبليغ هذا القرآن إلى الناس وبيانه لهم، قال تعالى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» (النحل: ٤٤)، وأوجب الله على الناس طاعة رسوله ومحبّته وحذّرهم من معصيته ومخالفته: «فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النور: ٦٣)، ودعا القرآن المؤمنين إلى اتّباع الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما جاءهم به: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟» (الحشر: ٧).

ولما كان الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم أصلاً من أصول الإيمان لا يتم إيمان المرء إلا به، فإن الإيمان بسُنّته جزء لا يتجزأ عن الايمان به عليه الصلاة والسلام؛ لأنه صاحب السنة، والسنة وحي من الله -كما سنبين إن شاء الله- ، فمن أنكر سنةً من سننه أو أنكر حجيتها أو ادعى أنها -أي السنة- ليست أساسًا من أُسُس التشريع فإنه بذلك يكون قد خرج عن دائرة الإيمان بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد حدَّد القرآن الكريم وظيفة الرسول في أمرين هما:

الأول: تبليغ ما أنزل إليه من ربه تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ» (المائدة: ٦٧)، وقال تعالى: «مَّا عَلَى

ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ » (المائدة: ٩٩).

الثاني: بيان ما أنزل إليه، قال تعالى: «وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ » (النحل: ٤٤)، وقال تعالى: « وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ » (النحل: ٦٤).

وعلى طول فترات التاريخ الإسلامي ظهر من بين المسلمين -للأسف- من يحارب سُنة النبي ويدّعي أنها لا تصلح أن تكون حجة للناس ولا أساسًا من أسس التشريع الإسلامي، فهي في نظرهم غير مُلزمة للناس، وإنما الدليل والحجة هو القرآن فقط، ويسمون أنفسهم قرآنيين، وهؤلاء لم يظهروا في زماننا هذا فقط، بل أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بظهورهم في بعض أحاديثه؛ كما في حديث المقدام بن معدي كرب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك أن يقعد الرجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحِلوه وما وجدتم من حرام فحرِّموه». (رواه الترمذي وأبو داود والحاكم).

فهو صلى الله عليه وسلم يقول: «يوشك أن يقعد الرجل على أريكته». أي أن هؤلاء الناس من أصحاب الترف والدعة الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من أهله.

وهؤلاء القرآنيون يستندون في تشكيكهم في السنة على بعض الأدلة من القرآن والسنة ويزعمون أنها توافق كلامهم، ويحاولون أن يلووا أعناق الآيات لتخدم أغراضهم في زعمهم أن القرآن وحده كفيل ببيان كل شيء فهم يقولون مثلاً إن الله تعالى يقول: « مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ » (الأنعام: ٣٨)، مستندين في ذلك أن القرآن قد حوى كل شيء مما يحتاجه الناس في دنياهم وأخراهم، ونحن نقول: حقًا إن القرآن لم يترك شيئًا إلا وضّحه وبيّنه، ولكن الآية التي يستندون عليها لا تقصد القرآن الكريم، وإنما هي تعني في أصح الأقوال اللوح المحفوظ، وأقرأوا إن شئتم الآية من أولها فالله تعالى يقول فيها: «وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ » (الأنعام: ٣٨).

ويستندون كذلك في زعمهم إلى حديث مكذوب دسه الكذابون الوضاعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله؛ فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه». فقد وضّح علماء السُنة أن هذا حديث باطل لا أصل له، وقد حكى زكريا الساجي عن يحيى بن معين أنه قال: هذا حديث وضعته الزنادقة، وعند عرض هذا الحديث المكذوب على القرآن نجد أنه مخالف لكتاب الله الذي يقول: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ » (الحشر: ٧).

كما أننا نقول لهم: لماذا تستندون إلى حديث من أحاديث الرسول طالما أنكم تُكذّبون بسُنته صلى الله عليه وسلم، فهذا الحديث إن صح - وهو غير صحيح- حجة عليكم لا لكم.

وهؤلاء القرآنيون غرضهم هدم الدين بأكمله؛ لأنه إذا أُهملت السنة فإنه يتبعها إهمال القرآن؛ لأن الناس عندئذ سيجهلون الكثير من أحكام القرآن التي تستمد من السنة، كما سنعلم بعد ذلك.

ولكن ما هي السنة؟ السنة هي الطريقة سواء كانت حسنة أو سيئة، ففي الحديث: «مَن سنَّ في الإسلام سُنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل

بها، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها». رواه مسلم وأحمد والترمذي.

والسنة في الشرع هي كل ما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير؛ فيجب اتباعها في الأمر والنهي؛ لقوله تعالى: «وَمَا ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا» (الحشر:٧)، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه». رواه البخاري ومسلم.

وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وَحيٌ من الله تعالى، فالله سبحانه أوحى إلى نبيه وحيين هما: وحي القرآن، ووحي السنة، فقال تعالى عن وحي القرآن: «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا» (الشورى: ٧).

وقال عن وحي السنة: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» (النحل: ٤٤)، وقال تعالى مادحًا نبيه في مجال الوحيين: «وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ» (النجم: ٤، ٥)، وفي الحديث الذي سبق: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه».

وتُعتبر السنة هي المفسِّر الثاني للقرآن بعد القرآن، كما يقول ابن كثير، ولهذا أيضًا فإن السنة تكون مع القرآن مصدرًا للتشريع الإسلامي، والله تعالى يقول: «فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ» (النساء: ٥٩)، قيل: الردُّ إلى الله؛ أي: إلى كتاب الله، والرد إلى الرسول الرجوع إليه في حياته، وإلى سُنته بعد موته، عليه الصلاة والسلام.

فالقرآن الكريم يحتاج إلى السنة لتفسيره، كما يقول الإمام أحمد: "إن السُّنة تُفسِّر القرآن، وتوضِّحه، فحاجة القرآن إلى السنة كحاجة السنة إلى القرآن، فالسنة تُفسِّر ما أجمله القرآن في الصلاة والزكاة وغيرها من العبادات، كما فصَّلت السنة أحكام الرضاع والمواريث وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، مع أن ذلك ليس له نص في كتاب الله.

وهكذا نرى أن القرآن الكريم هو أصل الدين وأساسه، وأن السنة تأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن، وأنها -أي السنة- تأتي مُبيِّنة له شارحة لأحكامه، وتفصل مجمله، وتوضح مشكله وغامضه، وتُقيِّد مطلقه، وهكذا.

فهؤلاء الناس الذين يشككون في سُنة النبي، ويزعمون أن القرآن وحده هو أساس التشريع الإسلامي وأنه وحده كفيل بالبيان والتوضيح نقول: إنهم يغالطون أنفسهم ولا يفهمون القرآن الذي بين أيديهم، وكلامهم هذا ليس إعظامًا لشأن القرآن، بل هو خطوة لإهماله وصرف المسلمين عن مصادر دينهم، وجحود سنة النبي صلى الله عليه وسلم، أو التنكر لها، ورفض الأحاديث الصحيحة الثابتة كفرٌ وارتداد عن الإسلام؛ حيث أجمع السلف والخلف على ذلك، كما يقول ابن حزم: «لو أن امرأً قال: لا نأخذ إلا بما وجدنا في كتاب الله لكان كافرًا بإجماع الأمة». انتهى.

فعلى هؤلاء الجاحدين للسنة أن يعودوا إلى رشدهم، وأن يعرفوا قَدْر رسولهم فيتبعوا النور الذي أُنزل معه، وأن يتمسكوا بسُنته، وعليهم أن يعلموا أنه ليس بعد ترك السنة إلا البدع والخرافات والأهواء والعادات والتقاليد، فالبدعة عكس السنة، والبدع ضلالات؛ ولنتذكر دائمًا أن «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

نسأل الله العافية، وأن يرزقنا اتباع السُّنة وحُسن التأسي بالنبي عليه الصلاة والسلام، والحمد لله أولاً وآخرًا.

من أخلاق طالب العلم

إعداد **الشيخ/ صلاح عبد الخالق**

الحمد لله الذي علم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فطالب العلم يحتاج إلى أخلاق عالية يتحلَّى بها؛ حتى يصل إلى التفوق والنجاح والفلاح، ومن ذلك:

أولاً: من أخلاقيات طالب العلم مع الله تعالى:

(١) إخلاص العمل لله تعالى:

الإخلاص هو مسك القلب في كل أمور الحياة، وماء حياته، ومدار الفلاح كله عليه، قال تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» (الأنعام: ١٦٢- ١٦٣).

- قل إن صلاتي وجميع عباداتي، وما آتيه في حال حياتي من الطاعة، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح، كله خالص لوجه الله. (تفسير المنتخب: ص٢٠٢).

ومن الإخلاص: أن تنوي بطلب العلم: أن ترفع الجهل عن نفسك وتعبد الله على بصيرة. وأن تتقرَّب إلى الله بطلب العلم؛ لأن طلبَه جهاد. وأن تتعبَّد لله بطلب العلم؛ لأن مدارسته عبادة. ونفع نفسك وأسرتك وأُمتك.

ومن لم يُخلص عمله لله ضاع وخسر في الدنيا والآخرة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ،

وعَلَّمْتُهُ وقَرَأْتُ فيكَ القُرْآنَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولكنّكَ تعلَّمْتَ العِلْمَ ليُقالَ: عالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ ليُقالَ: هُوَ قارِئٌ، فقدْ قيلَ، ثُمّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجْهِه حتّى أُلْقِيَ في النّارِ، ورَجُلٌ وسَّعَ اللهُ عليْه، وأعْطاهُ مِنْ أصْنافِ المالِ كُلِّه، فأُتِيَ به فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفَها، قالَ: فما عمِلْتَ فيها؟ قالَ: ما تَركْتُ مِنْ سَبيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنْفَقَ فيها إلّا أنْفَقْتُ فيها لكَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولكنّكَ فعَلْتَ ليُقالَ: هُوَ جَوادٌ، فقدْ قيلَ، ثُمّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجْهِه، ثُمّ أُلْقِيَ في النّارِ" (صحيح مسلم: ١٩٠٥).

(٢) تقوى الله تعالى:

قال تعالى: «وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (البقرة: ٢٨٢).

وَعْدٌ من اللهِ تعالى بأنَّ من اتّقاهُ علَّمَهُ، أيْ يجْعلُ في قلْبِه نُورًا يفْهَمُ به ما يُلْقَى إليْه، وقدْ يجْعلُ اللهُ في قلْبِه ابْتِداءً فُرْقانًا، أيْ فيْصلًا يفْصلُ به بيْنَ الحقِّ والباطِلِ، ومنْهُ قوْلُهُ تعالى: "يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا إنْ تتَّقُوا اللهَ يجْعَلْ لكُمْ فُرْقانًا" (تفسير القرطبي: ٣/٤٠٦).

فالتقوى سبب إفاضة العلوم على الإنسان، فإن من ابتعد عن معاصي الله تعالى ورثه علم ما لم يعلم.

رحم الله الإمام الشافعي حيث قال:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي
فأرشدني إلى تركِ المعاصي
وأخبرني بأنّ العلمَ نورٌ
ونورُ الله لا يُهدى لعاصي

(٣) الصبر والتوكل على الله تعالى:

قال الله تعالى: « فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا » (الكهف: ٦٥- ٦٩).

ولمّا كانَ هذا الصّبْرُ الكاملُ يقْتَضي طاعةَ الآمرِ فيما يأمُرُهُ به عطَفَ عليْه ما يُفيدُ الطّاعةَ إبْلاغًا في الاتّسامِ بأكْمَلِ أحْوالِ طالبِ العلْمِ. قوْلُهُ: «ستَجِدُني إنْ شاءَ اللهُ صابِرًا» أبْلَغُ في ثُبوتِ الصّبْرِ منْ نحْوِ: سأصْبِرُ، لأنّهُ يدُلُّ على حُصولِ صبْرٍ ظاهِرٍ لرفيقِه ومتْبوعِه، في تأكيدِه ذلكَ بالتّعْليقِ على مشيئةِ اللهِ اسْتِعانةً به وحرْصًا على تقدُّمِ التّيْسيرِ تأدُّبًا مع اللهِ. (التحرير والتنوير: ١٥/٣٧٣).

لا تحسبنّ المجدَ تمرًا أنتَ آكلُهُ
لن تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصبرا

فاصبر وصابر يا طالب العلم، فلئن كان الجهاد ساعة من صبر، فصبر طالب العلم إلى نهاية العمر.

(٤) الدعاء بالزيادة في العلم:

قال تعالى: «وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا» (طه: ١١٤): استدلوا بالآية على فضل العلم؛ حيث أمر صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة منه، وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم ما أمر بطلب الزيادة من شيء سوى العلم. (التفسير الوسيط لطنطاوي: ٩/١٥٧).

عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي اللع عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عليْه وسلّمَ: «اللّهُمَّ انْفَعْني بما علَّمْتَني، وعلِّمْني ما ينْفَعُني، وزِدْني علْمًا» (سنن الترمذي ٣٥٩٩، وصححه الألباني).

ثانيا: من أخلاق طالب العلم مع نفسه:

(١) الجدية في طلب العلم:

قال تعالى: «يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» (مريم: ١٢).

ومع أنّ اللهَ علّمَ يحْيى عليْه السّلامُ الْكتابَ، وهُوَ التّوْراةُ الّتي كانُوا يتدارسُونها بيْنَهُمْ، قالَ لهُ: «يا يحْيى خُذ الْكتابَ بقُوّةٍ» أيْ: تعلَّم الْكتابَ «بقُوّةٍ» أيْ: بجِدٍّ وحرْصٍ واجْتِهادٍ «وآتيْناهُ الْحُكْمَ صبيًّا» أيْ: الْفَهْمَ والْعلْمَ والْجِدَّ والْعزْمَ، والإقْبالَ على الْخيْرِ، والإكْبابَ عليْه، والاجْتِهادَ فيه وهُوَ صغيرٌ حدَثُ السِّنِّ. (تفسير ابن كثير: ٥/٢١٦).

(٢) الهمة العالية وعدم تضييع الأوقات بدون فائدة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ» (رواه مسلم ٢٦٦٤).

وَمِنْ آدَابِه -طالب العلم- الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ، وَأَنْ يَكُونَ هِمَّتُهُ عَالِيَةً فَلاَ يَرْضَى بِالْيَسِيرِ مع إمكان الكثير، وَأَنْ لاَ يُسَوِّفَ فِي اشْتِغَاله وَلاَ يُؤَخِّرُ تَحْصِيلَ فَائِدَةٍ وَإِنْ قَلَّتْ إذَا تَمَكَّنَ مِنْهَا وَإِنْ أَمِنَ حُصُولَهَا بَعْدَ سَاعَةٍ لأَنَّ لِلتَّأْخِيرِ آفَاتٍ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَغْتَنِمَ التَّحْصِيلَ فِي وَقْتِ الْفَرَاغِ وَالنَّشَاطِ وَحَالِ الشَّبَابِ وَقُوَّةِ الْبَدَنِ وَنَبَاهَةِ الذِّهْنِ وَقِلَّةِ الشَّوَاغِلِ قَبْلَ عَوَارِضِ الْبَطَالَةِ وَارْتِفَاعِ الْمَنْزِلَةِ. (المجموع شرح المهذب ٣٧/١).

(٣) حسن اختيار الصاحب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (سنن الترمذي ٢٣٧٨، وصححه فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ: ٣٥٤٥).

(فلينظر أحدكم من يخالل) أي فليتأمل أحدكم بعين بصيرته إلى امرئ يريد صداقته، فمن رضي دينه وخلقه صادقه وإلا تجنبه. (فيض القدير ٥٢/٤).

- احرص على اتخاذ صاحب صالح في حاله، كثير الاشتغال بالعلم، جيد الطبع، يُعينك على تحصيل مقاصدك، ويساعدك على تكميل فوائدك، وينشطك على زيادة الطلب، ويخفّف عنك الضجر والنصب، موثوقاً بدينه وأمانته ومكارم أخلاقه، ويكون ناصحاً لله غير لاعب ولا لاه (تذكرة السامع لابن جماعة).

ثالثا: من أخلاقيات طالب العلم مع معلمه:

(١) لا تناديه باسمه مجرداً:

كما أنك لا تنادي أباك باسمه مجرداً، فمن الأدب أن تقول له: يا أبت! تُقدِّره وتعظمه ولا تقل له: يا شيخ! إنما تقول: يا شيخي أو يا شيخنا! من باب التعظيم والإكرام.

(٢) توقير مجلسه:

كأن تجلس منتبهاً إلى درسه بطريقة فيها احترام وتقدير، أما اللعب في مجلس العالم والالتفات يمنة ويسرة، فهذا من عدم احترام مجلسه. فعن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا» (سنن الترمذي ١٩١٩، وصححه الألباني).

(٣) عدم قطع كلام معلمه:

أن يجلس بين يدي المعلم جلسة الأدب، ويُصغي إليه، وأن يُحسن خطابه معه، وألا يسبق إلى شرح مسألة أو جواب، ولا يقطع على المعلم كلامه، ويتخلق بمحاسن الأخلاق بين يديه.

قال تعالى: «فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا» (طه: ١١٤)؛ ويُؤخَذ من هذه الآية الكريمة الأدب في تلقي العلم وأن المستمع للعلم ينبغي له أن يتأنى ويصبر حتى يفرغ المملي والمعلم من كلامه المتصل بعضه ببعض، فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام مُلقي العلم؛ فإنه سبب للحرمان، وكذلك المسؤول ينبغي له أن يستملي سؤال السائل، ويعرف المقصود منه قبل الجواب؛ فإن ذلك سبب لإصابة الصواب. (تفسير السعدي: ص٥١٤).

(٤) إظهار السرور من الدروس والإفادة به، والدعاء له بالخير والبركة.

(٥) استئذانه قبل المغادرة: فإذا أردت أن تنتقل من مكان إلى آخر، فعليك أن تستأذن أستاذك، ولا تنصرف من بين يديه حتى يأذن لك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مسؤولية الآباء عن الأبناء

إعداد **الشيخ عبده أحمد الأقرع**

فرع اختاواي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد: فإن نعم الله عز وجل لا تُحصى، وعطاياه لا تُعدّ، ومن تلك النعم العظيمة وأجلّها: نعمة الأبناء؛ قال الله تعالى: « وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ » (النحل: ٧٢)، وهم زينة الحياة، قال الله تعالى: « ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ » (الكهف: ٤٦)، وزينة الذرية لا يكتمل بهاؤها وجمالها إلا بصلاحها.

وهذه النعمة العظيمة هي أمانة ومسؤولية، سيُسأل عنها الوالدان يوم القيامة: أحفظا أم ضيّعا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كُلكم راعٍ، وكُلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيه، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته ». متفق عليه.

ومع هذا الإنذار من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد استهان كثير من الآباء بهذه المسؤولية، فأضاعوا أولادهم ونساءهم وكأنه لا مسؤولية لهم عليهم، فلا يسألون أين ذهبوا ولا متى جاؤوا، ولا مَن أصدقاؤهم وأصحابهم، ولا يوجّهونهم إلى خير ولا ينهونهم عن شر.

ومن العجب أن هؤلاء حريصون كل الحرص على أموالهم بحفظها وتنميتها، والسهر على ما يُصلحها! مع أن المحافظة على الأولاد فلذات الأكباد وثمرات الفؤاد أولى وأنفع في الدُنيا والآخرة؛ لأن الأولاد بدون تربية لا قيمة لهم، هم بدون تربية مُصيبةٌ كبرى على الوالدين خاصةَ وعلى المجتمع كُله، وخير من وجودهم بدون تربية أو بتربية فاسدة عَدمُهم؛ لأنه ليس في عَدمهم ضررٌ، وإنما الضرر المحقق وجودهم بلا تربية أو بتربية فاسدة. ولذا لما قتل الخضر الغلام واندهش نبي الله موسى عليه السلام من هذا؛ « قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا » (الكهف: ٧٤)؟ فأجابه الخضر عليه السلام: « وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا » (الكهف: ٨٠)، أي: وكان ذلك الغلام قد قدّر عليه أنه لو بَلَغَ، لأرهق أبويه طغياناً وكفراً؛ أي: لحملها على الطغيان والكفر، إما لأجل محبتهما إياه أو للحاجة إليه يعملاها لذلك. أي: فقتله، سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأي فائدة أعظم من هذه الفائدة العظيمة؟ وهو وإن كان فيه إساءة إليهما، وقطع لذريتهما؛ فإنه الله تعالى سيعطيهما من الذرية ما هو خير منه، ولهذا قال: « فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا » (الكهف: ٨١) أي: ولدًا صالحًا، زكيًا، واصلاً لرحمه.

فعلى الآباء أن يقوموا بتربية أولادهم وتوجيههم وإرشادهم ومراقبتهم. فكما أنَّ الوالد يجب عليه تغذية جسم الولد بالطعام والشراب، وكسوة بدنه باللباس، كذلك يجب عليه أن يغذي قلبه بالعلم والإيمان، ويكسو روحه بلباس التقوى، فذلك خير زاد، رحم الله ابن القيم حيث قال: (فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سُدَى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدِّين وسننه، فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً" .

ويزداد الاهتمام بهم لا سيما في الوقت الذي تكثر فيه الفتن وتشتد فيه المنكرات، فإن المسؤولية تحتم عليهم الرقابة أكثر مما إذا خفت الفتن وقلَّت المنكرات، ألسنا في أموالنا إذا كثرت السرقة وكثرة الخيانة نتحفظ فيها أكثر ونطلب لها المكان الأحرز؟ فكذلك يجب علينا في أولادنا؟ بل ملاحظة أولادنا أوجب علينا من ملاحظة المال؛ لما في إهمالهم من الخطر علينا وعلى أنفسهم وعلى الأجيال المقبلة كلها.

إنَّ أولادنا-وليس أموالنا- هم الذين يلحقوا بنا في الجنة- إن شاء الله تعالى- إذا اتبعونا على الإيمان، قال الله تعالى: « وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ » (الطور: ٢١).

ومما لا ريب فيه أن كل واحد من الناس لا يرضى أن يكون مُنعمًا في الجنَّة وأولاده معذبين في النار، إننا نجزم أن الشخص لو رأى النار في الدُّنيا تأكل ولده لسعى بكل ما يستطيع في دفعها عنه حتى ولو على حساب نفسه، أما نار الآخرة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلذة كبده وريحانة قلبه ابنته فاطمة-رضي الله عنها-: « ..... يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا » (مسلم: ٢٠٤)، فكيف بغير النبي صلى الله عليه وسلم؟

أفلا يعقل كل أب ويقيس كيف يرى ولده يسعى في المعاصي التي هي أسباب دخول النار، ثم لا يبالي بذلك، ويزعم أنه يحبه! لو كان محبًا حقًّا لعمل على وقاية ولده من نار وقودها الناس والحجارة، قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ » (التحريم: ٦).

والأصل في تربية النشء إقامة عبودية الله تعالى في قلوبهم، وغرسها في نفوسهم وتعاهدها. وإن أول لبنة في بناء الشباب لبنةُ العقيدة، ورسوخ الإيمان، وصدق التعلق بالله وحده والاعتماد عليه. هذا هو الكنز الذي يجب على الوالد أن يدخره لبنيه قبل الممات، شأنه في ذلك شأن الأنبياء؛ فهذا أول رسول إلى أهل الأرض نبي الله نوح عليه السلام، بلغ من عنايته بفلذة كبده أنه مازال يدعو ابنه، ويستعطفه ليركب معه في السفينة؛ سفينة النجاة: « يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ » (هود: ٤٢)، ولكن ذلك الابنَ استمر على عصيانه، وقال: « سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ » (هود: ٤٣)، ومع هذا ما تركه، بل مازال يدعوه ويتلطف إليه لعله يستجيب، قال له: « لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ » (هود: ٤٣)، ومازال معه حتى فُرق بينهما: « وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ » (هود: ٤٣)، إنها لحظة الفراق القاسي.

ثم يأتي سؤال استعلام من نوح عليه السلام عن ولده الذي غرق: « وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ » (هود: ٤٥)، والمعنى: أي: يا رب، قد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدك الحق الذي لا يُخلف؛ فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟ ويأتي الجواب من الله سبحانه:

«قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ» (هود:٤٦).

وقال سبحانه: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ»؛ والمعنى: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم؛ لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك، ولهذا قال سبحانه: «وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ» (هود: ٤٠)، فكان هذا الولد ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره ومخالفته أباه نبي الله نوحاً عليه السلام.

وهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام من حرصه على ذريته أنه دعا الله عز وجل أن يهب ذريته ما وهبه الله إليه، لما قال الله له: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ» (البقرة: ١٢٤)، بل بلغ من حرصه على ذريته أنه دعا ربه: «رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ» (البقرة: ١٢٨)، «رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ» (إبراهيم: ٣٥)، وهذا من أعظم الحب والبر بأولاده؛ حيث دعا ربه أن يحفظ ذريته من الكفر به وعبادة الأصنام.

قال إبراهيم التيميُّ رحمه الله: «من يأمن البلاء على نفسه بعد الخليل عليه السلام»؟!

وهذا نبيُّ الله يعقوب عليه السلام: كان حريصاً على ذريته، فعندما أخبره يوسف عليه السلام برؤياه، قال له: «يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ» (يوسف: ٥)؛ يخشى عليه السلام أن تتفرق الأسرة.

ولما أرادوا الرجوع إلى مصر مرة أخرى، أوصاهم عليه السلام، فقال: «يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ» (يوسف: ٦٧)؛ ذكر بعضُ المفسرين أنه خشي عليهم من الإصابة بالعين إذا دخلوا جميعاً من باب واحد، وهذا من عنايته عليه السلام بأبنائه.

ومن حرصه عليه السلام أيضاً أنه لما جمعَ الله شملهم -بعد ما فعلوا بيوسف وأخيه ما فعلوا-؛ لم يثرب عليهم يعقوبُ عليه السلام، بل بلغ من عظيم حرصه عليه السلام على ذريته أنه مازال يوصيهم ويربيهم على الخير إلى خروج الروح؛ قال الله تعالى: «أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ» (البقرة: ١٣٣). فانظروا قوله: «إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ» أي: وهو على فراش الموت، يوصي أبناءه بأهم ما عنده: أن يكون الأبناءُ على توحيد الله، وعلى إيمان بالله عز وجل، فلما سألهم وأجابوه بأنهم لازمون للحق -وهو عبادة الله وحده، وعدمُ الإشراك به- اطمأن قلبه عليه السلام، ومات قرير العين.

وهذا نبي الله زكريا عليه السلام: من بالغ عنايته بذريته أنه دعا ربه أنْ يطيبَ أمر ذريته قبل خلقها: «قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ» (آل عمران: ٣٨). وقال الله تعالى: «ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا» (مريم: ٢- ٦)، وهذه الولاية ولاية الدِّين، وميراث النبوة والعلم والعمل، أي: ولدًا صالحًا ترضاه، وتحببه إلى عبادك، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد.

وهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أحرص الناس على ذريته لما أكل الحسنُ تمرةً من تمر الصدقة، وأدخلها في فيه، قال له صلى الله عليه وسلم: «كخْ كخْ، أما شعرت أنا لا نأكلُ الصدقة» (متفق عليه).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كيف نفوز بمحبة اللّٰه تبارك وتعالى؟

إعداد **عبد العزيز مصطفى الشامي**

الحمد لله، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، وبعدُ:

فإن محبة الله من أعظم مقامات العبادة عليها تدور رحى الطاعة والسير إلى الله؛ لأنها تسوق المؤمن إلى القرب من ربه، وترغّبه في الإقبال على الله تعالى.

وإن من أعظم منازل السائرين إلى رب العالمين، أن يُحبّ العبد ربَّه سبحانه، والأعظم منه أن يحبّه الله -جل وعلا- فسيجد ثمرات هذه المحبة عظيمة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَة -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ اللهَ تَعالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لي وَليًّا فَقَدْ آذَنْتُه بالْحَرْب، وَمَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدي بشَيْءٍ أَحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْه، وَلا يَزَالُ عَبْدي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوَافل حَتَّى أُحبَّهُ، فَإذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وَبَصَرَهُ الَّذي يُبْصرُ به، وَيَدَهُ الَّتي يَبْطشُ بهَا، وَرجْلَهُ الَّتي يَمْشي بهَا، وَلَئنْ سَأَلَني لأُعْطيَنَّهُ، وَلَئنْ اسْتَعَاذَني لأُعيذَنَّهُ". (صحيح البخاري ٦١٣٧).

ومحبة الله يذوق بها العبد حلاوة الإيمان، فعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجدَ حَلاوَةَ الْإيمَان: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إلَيْه ممَّا سوَاهُمَا، وَأَنْ يُحبَّ الْمَرْءَ لا يُحبُّهُ إلاَّ لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الْكُفْر كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّار" (أخرجه البخاري ١٦).

ومما يدل على رفعة مكانة من يحبهم رب العالمين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أحب الله تعالى العبد، نادى جبريل: إن الله تعالى يحب فلانًا، فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا، فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض". (صحيح البخاري ٣٠٣٧).

ومحبة الله تعني إيثار ما يحبه الله ويرضاه على ما سواه؛ وذلك بالتزام أمر الله، واجتناب نهيه واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، وسلوك طريق المؤمنين المتقين، وصرف المحبة الإيمانية لكل محبوب لله، والبعد عن كل ما يُسخط الله وينافي محبته، فمن

علامات محبة الله محبة ما يحبه، فعن عائشة-رضي الله عنها-، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعث رجلاً على سرية، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختتم بـ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فلما رجعوا، ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟" فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أخبروه أن الله تعالى يحبه". (صحيح مسلم: ٨١٣).

ومحبة الله تعالى ركن من أركان العبودية، قال ابن القيم: «وروحُ العبادةِ هو الإجلالُ والمحبةُ، فإذا تخلّى أحدُهما عن الآخر فسدَتْ، فإذا اقترنَ بهذين الثناءُ على المحبوبِ المعظَّم فذلك حقيقةُ الحمدِ». (مدارج السالكين: ٢/ ٤٩٥)

ولهذا كان من واجبات الإيمان ولوازمه: محبة الله تعالى، ومحبة ما يحبه الله ورسوله من الإيمان والعمل الصالح، وتوابع ذلك، وبُغْض ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والمعاصي، وبغض أعداء الله تعالى.

ومحبة العبد لربه ينبغي أن تكون أعظم من كل محبة أخرى، قال الله تعالى: «قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» (التوبة:٢٤)، ومن أحب غيرَه كحبه-سبحانه- فقد أشرك مع الله غيره، قال الله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ» (البقرة: ١٦٥)، "أي: يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله، وقال الزجاج: يحبون الأصنام كما يحبون الله؛ لأنهم أشركوها مع الله فسووا بين الله وبين أوثانهم في المحبة". (تفسير البغوي: ١/ ١٧٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا المعنى يدل على أن من أحب شيئًا من دون الله كما يحب الله-تعالى- فقد أشرك وهذا كقوله: «قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» (الشعراء: ٩٦-٩٨)، وكذا من خاف أحدًا كما يخاف الله أو رجاه كما يرجو الله وما أشبه ذلك" (مجموع الفتاوى: ١/ ٩٢).

فإذا كانت محبة الله تعالى بهذه المنزلة، فما أهم الوسائل المعينة على الفوز بمحبة الله تبارك وتعالى؟

من الوسائل المعينة على الفوز بمحبة الله تعالى:

١- تلاوة القرآن الكريم والنظر في المصحف:

أعظم طريق مُوصّل إلى محبة الله تعالى: معرفته سبحانه، واليقين بعظمته جل وعلا، وتدبر معاني أسمائه وصفاته. ولا شك أن القرآن الكريم هو أفضل وسيلة للتعريف بالله عز وجل، والتذكير الدائم بعظمته وصفات كماله وجلاله، فتلاوة القرآن وتدبره تغرس في القلوب محبة آلاء الله وعظمته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سرَّه أن يحب الله ورسوله، فليقرأ في المصحف». (صحيح الجامع: ٦٢٨٩).

ومما يساعد العبد على انتفاعه بالقرآن هو التزامه بما أمره الله به من تدبُّر وتفهُّم لما يقرأه من آيات، وكذلك ترتيله لها، فالفهم والتدبر يخاطبان العقل فيقتنع، والترتيل يهز المشاعر، فيمتزج بذلك الفكر مع العاطفة ليثمر يقينا في العقل، وايمانا في القلب، وهذا لا يتوافر في أي كتاب آخر على وجه الأرض «أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ» (العنكبوت: ٥١).

يقول ابن رجب: "سماع القرآن ينبت القرآن في القلب كما ينبت الماء البقل". (مجموع رسائل ابن رجب ٢/ ٤٧٤).

فلنحرص دائماً على أن نتعرف على ربنا سبحانه.

ولن نجد وسيلة لغرس محبة الله في القلوب أفضل من تلاوة القرآن الكريم وتدبره واستماعه، وإن القرآن هو أفضل وسيلة لغرس حب الله في القلب والوصول لمرحلة الأنس به والشوق إليه سبحانه، لذلك أنصح نفسي وإياك أن نكثر من تلاوته بفهم وترتيل وتباكٍ، وأن نتعرف على الله الودود من خلال هذا الكتاب المعجز، وحبذا لو خصصنا ختمة أو أكثر لهذا البحث العظيم. يقول ابن رجب: "ومما يستجلب المحبة: تلاوة القرآن بالتدبر والتفكر لا سيما الآيات المتضمنة للأسماء والصفات والأفعال الباهرات، ومحبة ذلك يستوجب به العبد محبة الله، ومحبة الله له". فتتحقق «يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» (استنشاق نسيم الأنس لابن رجب، ص٥٥).

ومن خلال مداومة قراءة القرآن آناء الليل وأطراف النهار تزداد مساحة حب الله في قلوبنا شيئًا فشيئًا، فيثمر ذلك شوقًا مستمرًا إليه يجعل صاحبه في عجلة دائمة للاتصال بالله من خلال قراءة القرآن في الصلاة وخارج الصلاة وكذلك في الدعاء والذكر والمناجاة «وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ» (طه: ٨٤).

٢- ومن الوسائل المعينة على نيل محبة الله تبارك وتعالى: التفكر في الكون وأحداث الحياة:

مع الآيات المقروءة في القرآن تأتي الآيات المرئية والمنظورة في الكون وأحداث الحياة. فكل ما في الكون يدل على الله ويُذكِّر به «أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (فصلت: ٥٣). ولقد حثنا- سبحانه- على أن نتفكر في آياته المبثوثة في كونه، وفيما يمر بنا من أحداث في حياتنا لتكون وسيلة للتذكرة الدائمة به، ومن ثمَّ الوصول إلى معرفته، وحبه، والتعلق التام به. تأمل قوله تعالى: «أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ» (ق: ٦- ٨).

ومما يلفت الانتباه أن الله عز وجل يُصرف الآيات الكونية ويكررها بأشكال مختلفة، كما يكرر الآيات بأساليب مختلفة في القرآن ليتم من خلالها التذكرة والتبصرة، ومن ثم يزداد الإيمان رسوخًا في القلب «انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ» (الأنعام: ٦٥). ومثال ذلك: الحر الشديد أو البرد الشديد، أو العواصف، أو... كل ذلك آيات تذكر بالله عز وجل.

وكما أن الله عز وجل قد ذم من يعرض عن تدبر القرآن وفهم المراد من آياته، فإنه كذلك قد ذم من يعرض عن التدبر والتفكر في آياته المبثوثة في كونه «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا» (الأنعام: ١٥٧). «وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ» (يوسف: ١٠٥).

ولذا لا بد إذا من التفكر في آيات الله المبثوثة في كونه المنظور والذي يشمل المخلوقات التي تراها أعيننا كالسماء والجبال والأشجار، ويشمل كذلك أحداث الحياة المختلفة التي تمر بكل إنسان.

«أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ» (الأعراف: ١٨٥).

فيستدل المرء من خلالها على الله عز وجل فيزداد به معرفة، فإذا ما تجاوب القلب مع هذه المعرفة ازدادت مساحة الإيمان فيه، وانجلت بصيرته، وشيئًا فشيئًا يتنور القلب فيرى بهذا النور صفات ربه تتجلى من وراء كل شيء تراه عيناه، فيوحده التوحيد الحقيقي، ويربط حياته كلها به.

لذلك كان التفكر من أفضل العبادات سواء كان هذا التفكر في آيات القرآن، أو آيات الكون.

يقول ابن رجب: "كان السلف يفضلون التفكر عن نوافل العبادة، وكان أكثر عمل أبي الدرداء الاعتبار والتفكر". (استنشاق نسيم الأنس، ص٤٩).

وللحديث بقية عن الوسائل المعينة على الفوز بمحبة الله تعالى، نسأل الله أن يرزقنا حبّه وحب العمل الصالح الذي يقربنا إلى حبه.

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

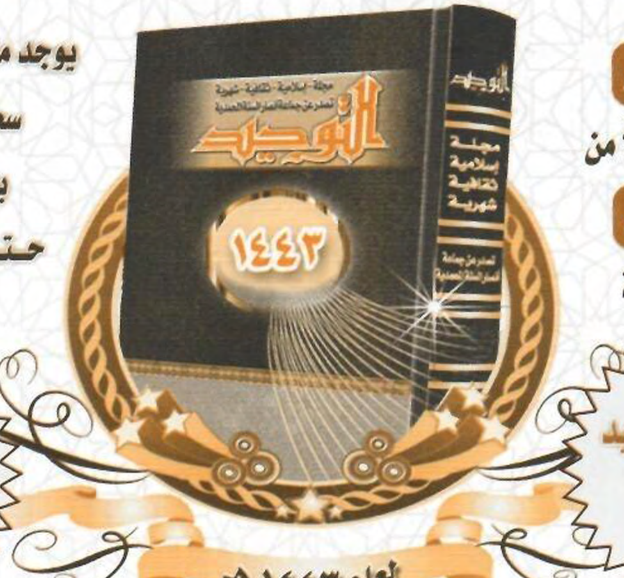
مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
١٤٤٣
مجلة
إسلامية
ثقافية
شهرية

لعام ١٤٤٣ هـ

يوجد مجلدات السنوات القديمة
سعر المجلد ٢٥ جنيه
بدلاً من ٥٠ جنيه
حتى عام ١٤٣٩ هـ

١٢٠٠ جنيه
سعر الكرتونة بدلاً من
~~١٥٠٠~~ جنيه
لفترة محدودة

سعر المجلد الجديد
١٠٠ جنيه

هدايا قيمة
لأول ١٠٠ مشترٍ

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

☎ واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

«علم نافع لايستغني عنها البيت المسلم»

التوحيد

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

☎ للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

التوحيد
١٤٤٣